بَرَاءَة
أماني سعيد.

"لم أرَ أفضل من اسمكِ
يكون اسمًا لروايتي"

بَرَاءَة.

ك/أماني محمد سعيد.

" يا صديقي، أريدُ منكَ قراءتَها ليلاً."

رواية

"""حكايةٌ مستوحاةٌ من أحداثٍ حقيقيةٍ

و لا شكّ إنّـها لا تخلو من بعضِ الخيالِ"""

كلّ الحكاياتِ واقعٌ بخيالكَ،
فأنتَ منْ تعيشُ الأحداثَ بذهنِكَ وحضورِكَ.

إهداء إلى :....

إلي زوجتي الفلسطينية أحبك بقدر
حب العالم أجمع ...

ولدت من رحمِ الحروب و أضاءت
كل الوجود ...

موطني الجَلالُ وَالجَمالُ السَناءُ وَالبَهاءُ في رُباك

وَالحَياةُ وَالنَجاةُ وَالهَناءُ وَالرَجاءُ في هَواك

هَل أَراك سالماً منعّماً

وَغانِماً مكرّماً هَل أَراك

في عُلاك تبلغ السماك

موطِني....

●لِقَائِنَا.

سأكتب إليكِ ، ببساطة لا أحد يهتم
بما أكتب أو ماذا تحوي كلماتي من تعبير ؟! .. ربّما
تكوني أنتِ القارئة الوحيدة لمفرداتي وأنا راض بذلك ، سعيد
بوجودك يا كل الوجود بالنسبة لي ، سأشرح لكي في خطابي
حياتي منذ دخولك فيها و مدا حبي ، امتناني لكِ ،
لا يهمني إطلاقًا ما إذا كان أحدهم سيشتري روايتي أم لا،
المهم بالنسبة لي قراءتك لها ، أعجابك بها، منذ عامين
بينما كنتُ عائدًا إلى منزلي في سيارة أبي، لفت انتباهي
منظر فتاة تجلس على أحد المقاعد شاردةً. كانت ترتدي
بعض الملابس البالية التي لا تُناسب جمالها، ولكنها كانت
تُشعِرُكَ بأنّ أمامكِ أميرةً ضاعتْ في زحمةِ الحياةِ ،
لكنها أثار الحروب لو تعلمون ، من أسعد الصدف أنني
أخبرت أبي إن يوقف السيارة و جئت إليكِ ،
راكضا لإعطائك مبلغ من المال ، و لتعملي ان مال العالم و
كنوز الدنيا لا تسوى جلوسكِ هكذا!!، حين أقبلت بتجاهكِ ، لم
تكن نظرتك توحي بأنك من المحتاجين ، بل في عينيها
نظرةٌ غريبة ، مزيجٌ من الحزن واللامبالاة ، كأنها قد
تجرّعت مرارة الحياة حتى الثمالة.

كانت نظرتكِ توحي بفقد وانكسار أفتقدك دنياكِ و وطنكِ و انكسار قلبك بخسارة عائلتكِ و شعبكِ ،

حزن قلبي لأجلكِ على الرغم من جهلي لأموركِ ، تحسست جيبي وأخرجت ما قسم الله لكِ ،

وضعته في يدكِ ، لم تبالي بي ولا بالمال ، في شعبي كثيرون الدعاء و الشكر لمن يعطيهم مالاً ،

ظللت واقفاً أتطلع إليك في شفقة لا تستحقينها ، بل العالم واحده يستحقها ، تجمعت الدموع في عينيكِ ،سألتك ما بكِ؟، تحدثتي قائلة لغة عربية تميل إلى الجناح الآسيوي ،

في بداية الأمر ظننت أنك "سورية" لكن بعد تبادل بعض الكلمات علمت حينها انك فلسطينية يا "فلسطنيتي" .

بلدك عانت ظلم و قهر تلك الفترة قاسي بدرجة تميت القلب العتيد ، خذلان و سكوت من عرب لم يعود عرب و أناس لا يمتون للإنسانية بصلة ، قلوبهم كالحجار من شدة ما اتباعو من شهوات ،

لقد علمتم يا معشر العرب أن لا خير في أمتنا العربية.

نقلت الصحافة الفلسطينية عبر الإنترنت ، مشاهد مروعة لا يتحملها عقل بشر ما بالكم بمن عاشها ، في خضمّ تلك الأحداث، تجلّتْ ملائكةٌ بين أرواحٍ مُشتعلةٍ. أطفالٌ يبتسمونَ

في وجهِ الموتِ، ونساءٌ يُضحّينَ بأرواحهنّ من أجلِ أطفالهنّ، ورجالٌ يُقاومونَ بِكلّ ما أوتوا من قوّةٍ للدفاعِ عنِ أرضِهم وعرضِهم.

لم تكنْ بشاعةُ العالمِ أجمعْ هي ما هزّني، بلْ بشاعةُ بعضِ النفوسِ البشريةِ التي تجرّدتْ منْ كلّ إنسانيةٍ، ونَفّذتْ مجازرَ بشعةً لا تُنسى.

مع مرورِ الوقتِ، لمْ نَعُدْ نُبالي بشيءٍ، فالمشاهدُ المُروّعةُ باتتْ مُعتادةً، والدماءُ والأشلاءُ أصبحتْ جزءًا منْ يومياتِنا.

لكنْ، شعبُ فلسطينَ لمْ ينكسرْ، بلْ ازدادَ صبرًا وثباتًا. شعبٌ يُؤمنُ بأنّ اللهَ معهُ، فأهل الجنة معروفون بصبرهم ، ثباتهم شعبٍ لا ينكسرُ رغم البلاءِ والقهرِ ، وأنّ النصرَ آتٍ لا محالةٍ.

ظلموا في الدنيا، لكنْ في الآخرةِ لهمْ الفوزُ والجنّةُ.

هم الذين نذروا أنفسهم للهِ، وجعلوا رضاهُ غايةَ سعْيِهمْ.

هم الذين صبروا على البلاءِ والمحنِ، ولمْ ييأسوا من رحمةِ اللهِ.

هم الذين أخلصوا في مشيهم متشرعين بشرعة الإيمان .

وهم الذين بنوا منازل سيرهم بين الرجا والخوف للديان .
وهم الذين ملأ الإله قلوبهم بودادة ومحبة الرحمن .
وهم الذين أكثروا من ذكره في السر والإعلان والأحيان ، يتقربون إلى المليك بفعلهم طاعاته والترك للعصيان ، فعل الفرائض والنوافل دأبهم مع رؤية التقصير والنقصان ، صبروا النفوس على المكاره كلها شوقاً إلى ما فيه من إحسان ، صحبوا الخلائق بالجسوم وإنما أرواحهم في منزل فوقان ، عزفوا القلوب عن الشواغل كلها قد فرغوها من سوى الرحمن ، حركاتهم وهمومهم وعزومهم لله لا للخلق والشيطان،
وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، رحمة الله تخشاهم أجمعين ...

"نورُ دُنْيَاهُمْ، ظلامُ دُنْيَانَا،
نورُ آخِرَتِنَا، ظلامُ آخِرَتِهِمْ."

كنا في فصل الشتاء و الجو بارداً نسبياً ، شعرت حينها ببرودة الهواء من حولنا ، خلعت الجاكيت الخاص بي ، ناولته لكي لعله يمد إليكِ بعض الدفء ، ابتسمتِ لي و قولتي بعض كلمات الشكر التي زالت عني الحرج لطباعي الخجول ، بعد تبادل بعض الكلمات علمت من خلالها أن هذا أول يوم لكي في بلدنا "مصر" شعرت بالإسى من أجلك وعزمت على أخذك إلي منزلنا برغم من اعتراض أبي في بداية الأمر و لكن بعد إلحاح مني قولت له

" ضع إحدى أخواتي مكانها " .

وتمّت الموافقة على استضافتكِ في منزلنا. شعرتُ بسعادةٍ غامرةٍ لأنّني سأتمكنّ من مساعدتكِ في هذهِ الأيامِ الصعبةِ. حوار بسيط دار بيننا جعلكِ تتوكلين على الله و توافقي على المجيء إلى بيتنا و إن تعيشي معانا ، جئتِ وجلستِ بجانب أبي علي المعقد الأمامي للسيارة بينما أنا أجلس في الخلف أتطلع إليك بحزن شديد ،

وقررت في نفسي إن أجعل لحياتي قيمة بوجودك ، في طريقنا إلى المنزل، تحدّث أبي معكِ بعض الكلمات ليطمئنكِ و أنا من أطمئن عند رؤيتكِ ، سألها أبي عن اسمها، قلتُ بحنو: "براءة".

فعلاً اسم على مسمّى كما يقال، فهي بريئة كالملك .

•بَرَاءَة.

إسمكِ يحمل في طياته أعظم الصفات، لا زلتُ أتذكرُ ذلك اليوم الأول الذي وطأت فيه منزلَنا، المكونَ من ثلاثة طوابق، الطابقُ الأولُ كانَ محجوزًا لوالدي، وأما الطابقُ الثاني فكانَ مُخصصًا لي، والطابقُ الثالثُ فارغٌ باستثناء بعض الأثاث الخاص بأخواتي وأعز أصدقائهم.

عندما وصلتِ إلى منزلِنا ، زادَتْ إشراقته ،

رحبتُ بكَ أمي بحنانٍ يشعُ منه الدفءُ والعطفُ الأمويُّ، عسى أن يمتدَ إليك وطنٌ جديدٌ يعوّضُكَ عما فقدتَه بعد معرفتها بما جرى لكَ ،

إما بالنسبة لي أخوتي فجميعهن احببنكِ واعتبرنكِ واحدةً منهن، على الرغمِ من شرودِك معظمَ الوقتِ ،

في المساءِ، تَّمَّ الاتِّفَاقُ على مُبِيتكِ مع أَخَوَاتِي في الطَّابِقِ العُلْوِي،

انتصف الليل وكنت أبيت في شقتي كما أفعل دائمًا، فالشقة مجهزة بالكامل لحياتي المستقبلية بعد الزواج، فوجئت بصراخ عالٍ يدوي في أذني، عجلت خارج شقتي لأعرف من أين يأتي هذا الصوت المفزع ، تبيَّن أنه كان يأتي من شقة أخواتي.

سرعان ما صعدت الدرج بسرعة لأرى ما الذي يحدث ، فتحتُ بابَ الشقةِ الصغيرة "حنان ".

سألتها بقلق : ماذا هناك؟"

كادَتْ تتكلّمُ، ولكن سمعتُ صوتَ صرخةٍ مدويةٍ قادمةٍ من غرفةِ النومِ، فركضتُ بسرعةٍ نحو مصدرِ الصوتِ، رأيتُكِ هُناكَ نائمةً بشكلٍ لا إرادي، بوجهٍ متعرقٍ متعبٍ وأنفاسكِ متوهجةٌ ،

سألتُم بقلقٍ: "ماذا الذي حدث ؟" ردّتْ "يارا" أختي الكبيرةُ بصوت متألمٍ، وأحزنَني ردها، إنّكِ تحلمينَ بكوابيسٍ ومشاهدٍ مروعةٍ، تتحدثين في نومك عن مواقف وأحداث مهولة ، مقتلَ أبيكِ وقذفَ باقي العائلةِ و موت جميع الأقارب كلمات لا قدرة للعقل البشري استيعابها كم حزنتُ من أجلِكِ حينها يا براءة ،

لعنَةُ اللهِ على الحروبِ وعلى النفوسِ المريضةِ كلّها.

ناديت على إسمك عدت مرات فلم تردي ، زجاجة مياه موضوعة على المكتب المجاور لسرير أخذتها ،

سكبت منها البعض على وجهك ، لعلِكِ تستفيقي من ذاك الكابوس ، عند إفاقتك من كابوسك، نظرتي إلينا في ذهول، ربما كنت تحاولين استعادة ذاكرتك، من نحن؟

ماذا نفعل هنا؟

ومن أحضرك إلى هنا؟!

لاحظنا كل هذه الأسئلة في نظرتك ،

فنحن غرباء عنك في نهاية المطاف ، لم نلتقِ بك إلا صباح اليوم.

طمأنتك أختي الكبرى يارا، وأخبرتك أنك في مكان آمن، وظلت بجانبك تمسح على شعرك بحنان ، أما الوسطى "روضة "

أحضرت لك كوب ماء، فارتشفت منه بعض القطرات ، أما أنا أنتبهتي لوجودي ، نظرتي نحوي بحرج شديد لعدم ارتداءك الحجاب ، فاعتذرت أنا بدوري متمنياً لك نومًا هنيئًا.

عندما أتجهت إلى شقتي في تلك الليلة، كنت في غاية البؤس والحزن من أجلك.

لم تكن لديّ القدرة على الاسترخاء أو النوم،

كلّما أغمضتُ عينيّ، ظهرتْ صورتُكِ أماميّ حزينةً ومُتعبةً.

كنتُ أشعرُ بالمسؤوليةِ تجاهَكِ ، قضيت تلك الليلة بين الفترة والأخرى، أصعد لأطمئنكِ عليكِ.

فقلقي على أمرك كان شديدًا تجتاحني المخاوف والتساؤلات حول كيفية أحرجك من حالتك ومساعدتك على التغلب على حزنك وألمك.

وبعد الكثير من التفكير، دوى صوت أذان الفجر، فانطلقت إلى المسجد المجاور لمنزلنا لأداء فريضتي، وتضرعت إلى الله أن يزيل عنك همك وحزنك ،

أنهيت صلاتي وخرجت متجهاً إلى شوارع القرية، مستمعًا بشروق الشمس وخيوطها الذهبية. كانت الأجواء هادئة وساحرة، حيث تغمرني همسات الرياح المنعشة ورائحة الطبيعة النضرة.

استمريت في سكوني، متأملاً جمال المشهد الذي يحيط بي. كان الجو منعشًا والطبيعة في أبهى حلة ،

مر الوقت بينما انهيتُ عملي في إحدى شركات الكهرباء، وعند عودتي إلى المنزل، تذكرتُ وجودكِ فتركتُ على باب الشقة،

ففتحت أمي الباب ورحّبت بي ، كنتُم تجتمعون حول مائدة الطعام،

فالوقت كان موعد العشاء ، لحسن حظي ، جلستُ في المقعد المقابلة لكِ وابتسمتُ لكِ تلاقيًا حينها ،

لمحتُ شبه ابتسامة على فمكِ ،

كم كُنتِ جميلةً وقتها ، فهذه أول مرة أراكِ عن قرب ،

أعترفُ الآن أنكِ أجمل نساء العالمين ظاهراً و باطناً ،

أنهينا العشاء، وذهبت أمي لإعداد بعض الشاي ، أما إخوتي، فقاموا بحمل أطباق الطعام بعد أن أصرت أمي عليكِ بعدم عمل أي شيء، أما أبي ، فدخل إلى غرفته ليفعل بعض الأشياء.

وبقينا بمفردنا، تكلمتُ إليكِ قائلاً:

"كيف حالكِ الآن؟" فطمأننتيني عليكِ ،

ودار حوار بسيط بيننا ،

وكنت سعيداً بتغيرك الطفيف ،

رأيت في عينيك نظرات الاطمئنان ، حمدت الله في جوفي ، لعدم خوفك مني و عائلتي ، ملئت الغرفة برائحة الشاي العطرة التي تعبق في كل ركن ،

بينما قام أبي بتشغيل التلفاز، اجتمعنا جميعًا حوله بهيبة واعتزاز.

كان فيلم كوميدي يعرض، وامتلأت غرفة المعيشة بضحكاتنا المتجاوبة.

قضينا ليلة من أروع الليالي برفقتك، يا براءة.

كان الفيلم مليء بالنكات الهزلية والمواقف المضحكة التي أسرتنا بسحرها.

كل مشهد كان يثير فينا الضحك ويخفف من ضغوط الحياة اليومية ، كنا نستمتع بالأوقات الجميلة ،

وضحكاتنا ملء الغرفة .

مرت الأيام بوجودك معنا، ورغم تحسن ملموس في مزاجك،

إلا أن ظهور الكوابيس تسبب تدهورًا في صحتك،

وزادت الهالات السوداء تحت عينيك ونقص وزنك بشكل

واضح ، لقد عانيت من تكرارات الكوابيس لمدة عشرة أيام

متواصلة.

كان الأمر مرهقًا جدًا على النوم والصحة العامة لكي.

في الحقيقة، كنت أشعر بالعجز والإحباط حين رؤيتك يومًا

بعد يوم وأنتي تعاني من هذه الأوضاع السيئة ،

قررت متخاذلًا استشارة صديقي لي طبيب نفسي،

شرحتُ لهُ حالتكِ،

لمعرفة وضعك الصحي وكيفية التعامل مع هذه

الكوابيس المروعة ،

مع بدء العلاج، بدأتُ أرى بارقة أمل في عينيكِ.

شعرتِ براحة كبيرة، وبات النوم أكثر سهولة.

ساعدكِ الطبيب على فهم أسباب الكوابيس،

وطور خطة علاجية تناسب احتياجاتكِ.

لم تكن رحلة الشفاء سهلة،

لكنّكِ كنتِ مُقاتلة قوية.

واجهتِ مخاوفكِ بشجاعة، وبدأتِ تُعبّرين عن مشاعركِ

بحرية. ساعدكِ العلاج على التخلّص من مشاعر الخوف والقلق، واستعادة شعورك بالأمان.

مع التشجيع الدائم من الجميع و الرعاية الصحية ، يظل أخواتي يتحدثون معك لتفريغ المشاعر و المشاهد السيئة من ذهنك ،عرفت كل ما حدث معاكي ومع عائلتك مشاهد مروعة تقشعر لها الأبدان ،

كنت أرى إنهيارك في كل مره عندما تتحدثين ،

إلا لعنه الله على الظالمين.

"أكانَ الحبُّ الأوَّلُ سَبَبًا في تَعَاسَةِ كلِّ القلوبِ؟".

مساء هَذَا اليَوْمِ، وَقَفْتُ بِشُرْفَةِ غُرْفَتِي الْوَاسِعَةِ الْمَمْلُوْءَةِ
بِبَعْضِ أَوَانِي الزَّرْعِ، أَتَطَلَّعُ إِلَى كُلِّ مَا حَوْلِي،
أَفْكُرُ بِهَا.
مَاذَا لَوْ لَمْ نَتَقَابَلْ؟
مَا كَانَ حَالُهَا الآنَ؟
صُدْفَةٌ عَظِيمَةٌ، لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبُ!
وَفَجْأَةً، تَذَكَّرْتُ حَبِيْبَتِي!
لِلْعَجَبِ، مُنْذُ مَتَى وَأَنَا أَنْسَاهَا وَأَفْكُرُ فِي غَيْرِهَا؟
كَانَتْ جَارَتَنَا فِي مَنْزِلِنَا الْقَدِيْمِ.
حُبُّ طُفُولَةٍ، كَمَا يُقَالُ.
لِحَيَائِي الشَّدِيدِ، لَمْ أَعْرِفْ أَحَدًا غَيْرَهَا. فَفِي الصَّبَاحِ،
كُنَّا نَذْهَبُ سَوِيًّا إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَنَعُودُ مَعًا.
كُلُّ شَيْءٍ كَنَا مَعَنَا. تَعَلَّقْتُ بِهَا، وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا تَعَلَّقَتْ بِي.
فَمَنْذُ الَّذِي لا يُحِبُّنِي؟ لَيْسَ غُرُورًا،
بَلْ لِطَبْعِي الْحَنُونِ، كُنْتُ مَحْطَّةَ أَنْظَار الْجَمِيعِ ،
نَظَرًا لِاسْمِي الْمُخْتَلِفِ وَشَكْلِي الْجَذَّابِ،
كُنْتُ مَحْبُوبًا مِنْ قِبَلِ الْجَمِيعِ،
أَمَّا هِيَ فَكَانَتْ مُخْتَلِفَةً ،
هَادِئَةً ، وَلا أَنْكِرُ أَبَدًا أَنَّهَا جَمِيْلَةٌ!!.
وَ كَانَ الْحُبُّ الْأَوَّلُ سَبَبَاً فِي تَعَاسَةِ قَلْبِي.

وبعد حوالي شهر، انتشرت الشائعات المتعلقة بك ، نظرًا لوجودك في منزلنا الذي يعتبر واحدًا من بيوت الريف المصري الأصيل والذي لا يخلو من القيل والقال ،من هذه ؟،وماذا تفعل في بيت واحد لا تمت له بصلة و خاصتنا إن أبي من شيوخ القرية و لا أحد يعلم مكان يجري في بيتنا لكنه سوء الظن في نهاية الأمر يا عزيزتي، تم الاتفاق على عقد قرآننا ،

أذكر تلك اللحظة جيداً ، كنت عائداً من عملي حينما استفسر جارنا عنك وعن كيفية معرفتنا بك، وعن سبب إقامتك في بيتنا على الرغم من وجود رجال أغراب في المنزل،

شعرتُ بالغضب يملأ قلبي عندما سمعتُ ما قاله جارنا ، أثارت تلك التساؤلات شكوكي وجعلتني أجيب عليه برد صارم ووقفته عند حده، كيف يمكنه أن يظن ذلك عنا وهو يعرفنا منذ زمن بعيد؟

دخلتُ المنزل وأنا أحاول التّحكم في غضبي ،

لأجد الجميع صامتين ، نظرتُ إلى عائلتي ورأيتُ الحزن على وجوههم.

ماذا حدث؟ سألتُهم بصوتٍ هادئ.

حكت لي الصغيرة سارة ما حدث معاكم.

جاءت عمتي إلى بيتنا في الظهيرة وسألت عنكِ يا براءة، نفس الأسئلة التي لا معنى لها عنك ،
وماذا تفعلين في منزلنا ؟.
وبعض الناس قرروا نفس الأسئلة التي لا معنى لها مثلهم، إنه الريف المصري يا عزيزتي ،
كنتِ جالسة هناك على إحدى المقاعد بوجه حزين ، وبعد نقاشات طويلة حول هذا الموضوع ، توصلنا إلى قرار عقد زواج زواجي منكِ يا براءة، كان خبر صادم بالنسبة لي و لكِ ، ولكني كنت سعيدًا بداخلي، كنت أخاف أن نتخلى عنك يومًا لأي سبب من الأسباب. ومع ذلك، لا يمكنني إلا أن أضمن وجودي الدائم بجانبك إلا بهذا الشكل ، فمنذُ أنْ عرفتُكِ، لم أُردْ أنْ أبتعدَ عنكِ أبدًا.
أقبل نحوكِ أبي حينها وأخبركِ أن هذا هو أفضل حل الآن، وأنه لن يرى أفضل مني يطمئن عليكِ معه. تخيلي أن بنت عمتي كانت تحبني وقتها، وفضّلكِ عليها، إنّكِ لغالية، أيتها الفلسطينية. تركونا بمفردنا لبعض الوقت لنرى هل هناك توافق بيننا أم لا؟! ، أم يرون حلاً آخر. الآن كنتِ تجلسين أمامي في أبهى صورة لكِ.

حقيقةً، لم أرَ أفضل من هذه الشكل والطبع والمكانة. تحدثتِ عنّي لفترة وجيزة، أنا مهندس في إحدى شركات الكهرباء، وكنتِ ومازلتِ أحب فتاة تسكن في حينا،
لكنه النصيب، تكلمنا بكل صراحة. طريقة كلامكِ، ابتسامتكِ العفوية، حياؤكِ الشديد، كل هذه الصفات خاصةٌ بكِ وحدكِ، وأكثر. كنتِ أحبّها، لكني لم أكن مطمئنًا. والآن أنا مطمئنٌ، وهذا يعني لي كثيرًا. لو تعلمين ،
أنتِ الفلسطينية الجميلة التي تحب الحياة بكل ما فيها وتبث الأمل والفرح في كل زاوية من زوايا قلبي. أتذكري عندما قلتِ لي أن الحب هو القوة الأعظم التي تجمع الناس، ولم أكن أتصور يومًا أن يتبدل لكي كل هذا الحب العميق الذي كنت أحمله في قلبي لها .

****

زواجنا كان عاديًا تمامًا، خاليًا من كل شيء إلا بسمتك العظيمة ، كان خارجًا عن المألوف بدون كل تلك الأشياء الزائنة، فأنتي زوجة بلا فستان زفاف وأنا زوجٌ بلا بدلة، لا أناس سوى عائلتنا ، لم نستعد للزفاف الكبير والضيافة المبذرة ، لكِنَّهُ الرِضَا يا عَزِيزَتِي يَتَجَلَّى بِبَسَاطَةِ الأَشْيَاءِ وَسَعَادَةِ الأَشْخَاصِ بِهَا .

•زَوَاجُ.

اليوم، هو اليوم الأول الذي تَدخلين فيه إلى شقتي. أشعرُ بكِ وبنبضاتِ قلبكِ ، اتَجَهتِي فورَ دُخولِكِ إليَّ إحدى الغرفة نادَيتِك، التَفَتِي إليَّ، شاحِبةً مأخوذة الأنْفس. طمأَنتِكِ بأنَّني لا أُريدُ شيئًا سوى الاطمئِنان عليكِ ، وإنْ تعطينِي فرصةً لاكونَ بسمَةً على وجهكِ.

هدأتِ انفعالاتِ وجهِكِ قليلاً، اقتُربتُ منكِ، ثُمَّ احتضَنتُكِ، وقُلتُ بحنان: "براءة، أعلم أنَّ ما مُرِرتِي بهِ لَمْ يَكُنْ هينًا عليكِ، لكِنْ رُفِقنا بقلبِكِ ولحالتِكِ، لا شيءٌ يُعوِّضُ من فقدَانِكِ.

أنا هُنا وسأحاولُ جَاهِدًا أنْ أجعلَ أحزانَكِ فَرَحَا قريبًا بِإذنِ اللهِ". قُبِلتُ رأسكِ ومسَحتُ دُموعَكِ. فَتَحتُ لَكِ بابَ إحدى الغُرَف ، قائلاً تصبحين على خير، اتجهت إلى باب غرفة نومي، فتحته بلطف ربما تحتاجين شيئاً ودخلت إلى مكان هادئ ومريح.

ظللت أراقب المكان للحظات قبل أن أتقدم نحو السرير الدافئ ها أنا الآن في مكان العزيز.

قمت بإزالة حذاءي وثيابي ثم انغمست في أعماق السرير الناعم ، كان نهارًا طويلاً ومليئًا بالتحديات والمسؤوليات، والآن هو وقت الاسترخاء والهدوء أغمضت عينيّ وحاولت النوم، لكنني لم أستطع. كنت أفكر في كل شيء حدث في ذلك اليوم.

كنت أفكر في زواجي منكِ يا براءة، أفكر كيف أجعلك تبتسمين، أفكر في كيفية إخراجك من تلك الحالة السيئة التي أصبحت جزءًا من حياتك.

أتساءل دائماً:

لو أنني مثلاً لم أحضر في هذا الوقت، ما كان حالها؟

لعلّها كانت ستظلّ وحيدةً، تائهةً في دروب الحياةِ دونَ رفيقٍ يُشاركُها أفراحَها وأحزانَها.

أحمدُ اللهَ في جوفي على لِقائِنا .

أردت أن أكون معك دائمًا، وأن أكون سندًا لك في كل لحظات حياتك. أردت أن أشاركك أفراحك وأحزانك، وأن أكون معك في كل خطوة تخطينها.

مررتي بالكثير من الصعوبات في حياتك ، لكنني أريد أن أخبرك أنك لست وحدك. أنا هنا من أجلك، وسأكون معك دائمًا.

أنتصف الليل، وأنا لا زلت مستيقظًا أفكر، سمعت صوت بكائك وانتابني القلق، فجئت إليك وفتحت باب غرفتك، ولكن للعجب، وجدتكِ نائمة ، دموعكِ كانت تتدفق على خديك ، ربما كنتي تسرّعين شئ ما، قلتي الكثير من الأشياء. جلست بجانبك وبدأت أمسح على رأسك وأردد بعض آيات القرآن الكريم لتهدئة روحك وتسكينك ، غفوتُ بجانبكِ حتى شعرتُ بشيءٍ يتحرك حولي، كنتِ جالسةً على حافة الفراش تنظرين نحوي بقلقٍ واضح. طمأنتُكِ ورويتُ لكِ ما حدث في الليل، رأيتُ امتنانَكِ الواضح، لا عليكِ يا عزيزتي ، فأنتِ تستحقين كل هذا و اكثر، فداكِ راحتي وقلقي الدائم وقلة نومي ،

فلكِ كل ما ترغبين يا عزيزتي.

أخبرتني بأن إذن المؤذن لصلاة الفجر ودعتك، وانطلقت. نحو المسجد ، أديت فريضتي وخرجت لأستمتع بشروق الشمس كما أفعل دوماً .

عدت إلى المنزل في السابعة، وبعدما بحثت عنك، وجدتك في المطبخ. جئت وساعدتك في طهي الطعام. أعددنا بعضًا من الأكل المصري والقليل من الطعام الفلسطيني،

جلسنا على المائدةِ، وتناولنا الطعامَ معًا ، وقد كانت مائدة إفطار لذيذة حقًا .

كان يوم الجمعة، ولم يكن لدي عملٍ. تناولنا فطورنا، ثم قمتِ بتنظيف المائدة، وأنا قمتُ بإعداد كوبين من الشاي. جلسنا سويًا وتحدثنا في أمورٍ كثيرة، ومن أهمها أنكِ خريجة كلية العلوم قسم الحاسبات. يفصلنا فرقٌ في العمرِ ثلاثة أشهرٍ فقط، نفس السنة الميلادية ونفس اليوم، وإن اختلف الشهر.

كنتِ من عائلةٍ مرموقة و هذا ساعدكِ في النجاة من الاحتلال الصهيوني الحقير ،

و إليكم كل ما حدث :

أيها القارئُ لا شكّ أنك تريدُ أن تعرفَ :

كنتِ عائلةً براءةٍ تستعد للخروج من البلدة للنجاة من بطش الجيش وقسوة الحروب وفقدان الأقارب والجيران والأصدقاء. أشلاء الشهداء ملأت المكان، ودماء الأبرياء شَرِبَتْها الرمال. الاهتمام بالابتعاد عن اليهود.

انتظروا دورهم كثيرًا في الموت، لكنه لم يحن الموعد، فعزم والدها على الخروج من فلسطين، على الرغم من اعتراضكِ. لم يبقَ سواكِ انتِ.

"هَنِيئًا لِمَنْ ماتَ شَهِيدًا، فَهُوَ بالْجَنَّةِ فَازَ."

في صباح ذلك اليوم المشؤوم تمَّ الانهاء على عائلتكِ. آسفٌ على ذلك، لم يعد رجالاً في زماننا هذا.

من نعم الله علينا لِقَائِنَا يا حبيبتي.

وكما أخبرتُكِ، سنلتقي جميعًا، عائلتكِ وعائلتي، تحت قبة السماء في جنة الخلد.

نلتقي ثانيةً بإذن الله.

أيامنا مرت بهدوء فكلنا مسالم جدًا، رغم أنها عادية وتخلو من أشياء كثيرة ،

إلا أن حضورك يجعل كل ما حولي ممتع ومشرق ، تأتي بحضور فريد وحب يملأ القلب ويشعرني بالحياة الحقيقية .

معكَ، أدركُ معنى السعادة الحقيقية، وأنها لا تكمن في الأحداث الكبيرة، بل في التفاصيل الصغيرة.

كلما اقتربت، ازدادت السعادة تألقًا وبريقًا في عيني، أصبحت أراقب أيامي متلهفًا، متوقعًا لحظاتنا المشتركة التي تمثل السعادة بالنسبة لي ،

مثل الغيمة المنعشة في يوم حار أو الغروب الجميل الذي يضفي بريقًا لافتًا على السماء.

●لَيْل.

أحبّ الليل، مُنْذُ زمنٍ طويلٍ، عند حلول المساء وأنا أجلسُ بمفردي وسط الظلام ، هُنَاكَ، أَتَرَكُ الْأَفْكَارَ تَتَدَاوَلُ فِي ذِهْنِي وَأَتَأَمَّلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَرْفَعُ نَظَرِي نَحْوَ النَّافِذَةِ لِأَتَطَلَّعَ إِلَى الْقَمَرِ، الَّذِي يُضِيءُ السَّمَاءَ السَّوْدَاءَ بِنُورِهِ الفضيّ، هُنَاكَ أُشَاهِدُ سِحْرَ السَّمَاءِ، وَجَمَالَ النُّجُومِ الْمُتَلَأْلِئَةِ ، كَأَحْجَارِ كِرَيْمَةٍ تَزِينُ فَضَاءَ اللَّيْلِ، أَتَلْمَسُ أَمْنِيَّةً لِمَسْتَقْبَلِي وَأُبَثُّ الْأَمَلَ فِي قَلْبِي ، ها أنتِ الآن أفضل مما تمنيتِ!!.

الآن، لم أعد وحدي ، منذ مجيئكِ وأنتِ تجلسين بجانبي، نمضي كل ليلة نتحدث في أمور كثيرة، أستمتع بوقتنا المشترك، حيث نتحادث بكامل حريتنا ونتشارك الضحكات الصادقة.

أجلسِ على كرسي بجوار سريركِ الآن، أراقبُكِ وأنتِ نائمةٌ، وأُمسحُ شعركِ كما اعتدتُ ، أَقْتَرِبُ مِنْكِ بِرُؤْيَةٍ وَأَقْبَلُ جَبْهَتَكِ بِحُبٍّ ، أنتِ جميلةٌ بكلِ ما تحملهِ هذهِ الكلمةِ من معنى، لديكِ ملامحٌ طيبةٌ ووجهٌ بشوشٌ. صَدِّقيني أنكِ أجملَ ما رأتْ عينَيْ .

أدركُ أنَّ هذا الجمالِ الذي تحملينه في خارجكِ يتجاوز جمالًا داخليًّا مبهرًا.

●شُوقُ.

أتذكري عندما غبت عنكِ لأسبوع كامل بسبب سفري للعمل في فرع الشركة بمحافظة أخرى، قبل سفري أوصيتِ الجميع عليكِ و أيقن تماماً أنكِ في أعينهم، هذه أول مرة أبتعد فيها عنكِ منذ دخولكِ حياتي ،

شعرت بفقدٍ رهيب عند وداعِكِ وأعلمي أن من أصعب المشاعر بالنسبة لي هي مفارقةُ مَنْ أُحِبّ .

قد اعتدت على مفارقة أهلي لأسباب عدة، بما في ذلك سكني في الجامعة وتباعد محافظتي، مما أدى إلى فصلنا لعدة أيام ، اعتدت على ذلك ولكن، بالنسبة لك، فإن وجودك هو أمر جديد تماماً قد أعتدت على وجودك.

منذ ساعتي الأولى في السفر، بدأت أشعر بشوق كبير إليك، أفكر بك بكل لحظة تمر، أشعر بالفقد العميق بدون وجودك بجانبي. تتوالى اللحظات وأنا لا أستطيع إخفاء حنيني المتزايد إليك، فقلبي يتوق إلى رؤية وجهك وسماع صوتك الدافئ ، بينما يتأرجح القطار ويعبر بسرعة عن المناظر الجميلة للطبيعة الخلابة، تتمزج مشاعري بين الحماس

والقلق، أشعر بالحماس لأنني أعد التفكير في هدية أولى أقدمها لك، لكن أيضًا أشعر بالقلق حيال الكوابيس التي كنت تعاني منها رغم قلتها في الفترة الأخيرة. افتقد وجودي بجانبك وأشعر بالحزن لذلك.

وها أنا الآن، في نافذتي القابعة بجانبي ، أستنشق رائحة الهواء النقي وأشاهد الغروب الساحر، ولكن لا شيء يمكن أن يضاهي السعادة والراحة التي أشعر بها عندما أكون بجانبك ، أتخيل أمسياتنا الهادئة، المشي بجوار بعضنا البعض ومشاركة الضحكات والأحاديث العميقة.

أعلم أن الانتظار لا يزال طويلاً، أسبوع فبعدك غربة .

عدتُ من سفري في المساء، فتحتُ بابَ الشقةِ وجدتُ عائلتِي بدونَكِ. سلمتُ على الجميع وسألتُ عنكِ. أخبرتني أمّي أنّكِ في شقتنا وكانت سترسلُ أختِي سارة لِكِ. إلا أنَّني أوقفتُها وصعدتُ أنا لِأُندي عَلَيْكِ. فتحتُ بابَ الشقةِ وبحثتُ عنكِ، لم أجدِكِ في الصالةِ ولا المطبخِ. فتحتُ بابَ غرفتكِ وجدتُكِ على سجادةِ الصلاةِ ، عندما رأيتكِ على سجادة الصلاة، شعرتُ بالارتياح ، تقدمتُ بخطوات هادئة نحوكِ انحنيتُ بجانبكِ ووضعتُ يدي على كتفكِ بلطف، لأبدي لكِ حضوري ، اقتربت منك وقمت بتقبيل جبينك تعبيرًا عن فرحي العميق بالعودة للمنزل ولأجلك.

اجتمعنا في الشرفة، نحتسي الشاي ونستمتع بدفء نسّمات الهواء. تبادلنا أطراف الحديث حول فترة غيابي، وكنت شغوفًا لسماع أخبارك. تحدّثنا عن كل ما مررت به خلال تلك الفترة، وكيف تغلّبت على الكوابيس التي واجهتها.

وبعد كرم الله عليّ، اشتريت هدايا للجميع تعبيرًا عن امتناني. سأذكر هديتك فقط، وهي جهاز لاب توب من أحدث الأنواع لتتمكني من العمل عليه وتطوير ذاتك.

عندما فتحتِ هديتك، غمرتِني سعادتكِ. اتسعت ابتسامتكِ وأضاءت عيناكِ بريقًا من الأمل والرضا. قمتِ بمعانقتي ، وشعرتُ بدفء مشاعركِ وامتنانكِ العظيم ، كم كنت سعيداً وقتها.

في الأيام التالية ، بدأتِ تستعدين مهاراتكِ ، من تعلم البرمجة وتصميم المواقع الإلكترونية ، أخبرتِني أنكِ تمكنتِ من الحصول على عمل حر عبر الإنترنت ، واصلتِ العمل بجد وتحقيق دخل ممتاز.

أخبرتِني أنكِ قررتِ التبرع بجميع أرباحكِ لفلسطين ، لقد شعرتِ بضرورة مساعدة إخوانكِ وأخواتكِ الذين يعانون من الاحتلال.

شعرتُ بالفخر الشديد بكِ. لقد أثبتِ أنكِ قادرة على تحقيق أي شيء تضعين في ذهنكِ.

●شِتَاء.

ذاك الفصل المحبوب من قبل الجميع ، يحمل في طياته سحرًا فريدًا يجعلنا نستمتع بأجواءه الباردة والجميلة. الغيوم الزرقاء تتمايل في السماء، تعطي المشهد جاذبية خاصة وتدفئ قلوبنا بأمل وتفاءل ،

في هذا الفصل، يتساقط المطر بغزارة، يرقص على الأرض ويروي عطش الطبيعة الذي استمر لفترة طويلة. تتشكل برك الماء التي تعكس مثل المرايا جمال الأشجار المحيطة والسماء الزرقاء الصافية. نرى قطرات المطر الملونة كالماسات تتلألأ في أشعة الشمس المنبثقة من بين الغيوم.

وفي الليالي الشتوية، يظهر سحر الهواء أكثر. حيث تتوالى النسمات الباردة ونرى النجوم وهي تلمع في سماء مظلمة تزيدها جمالًا وروعة. هذه الأيام الشتوية تدعونا للتجمع حول الموقد وقداحة الشموع، حيث نتحدث ونضحك ونشارك في أجواء دافئة ترسم البسمة على وجوهنا.

إنها فصول الشتاء، فصل الأمطار، فصل الدفء والتآلف. نستمتع بكل لحظة في هذا الفصل الذي يستحضر فينا الحنين لماضٍ جميل.

ذات يوم من ذاك الفصل الرائع قمنا بجولة معاً في قطعة أرض ملك لأبي ، بعض الغيوم الخفيفة في سماء زرقاء صافية ، الهواء نقيًا منعشًا، يمتزج برائحة الأرض المطرية والنباتات المزهرة التي تعبق بالعبير، تتسلل حبات الهواء الباردة على بشرتك، مما يثير الإحساس بالنشاط .

إبتسمنا فور رؤيتنا تلك الأجواء الخلابة، تشابكت ايدينا و تمشينا أنا وأنتِ، يا براءة. تحدثنا كثيراً وضحكنا من أعماق قلوبنا، اعترفتِ بحبك لي يومها، ولم أكن أستطيع أن أصدق ما سمعت. اهتز قلبي بفرحة لا يمكن وصفها عندما رأيت في عينيك نفس اللهفة والحب التي أشعر بها تجاهك، كَم هو عَظيمٌ أَن تَجِدَ نَفْسَكَ وَاقِفًا أَمَامَ الشَّخْصِ الَّذِي تُحِبُّهُ وَأَنْ تَتَبَادَلَ مَعَهُ نَفْسَ الإِحْسَاسِ، فَهَذَا شُعُوْرٌ لَا يضاهي .

لقد أحسست بعطفكِ وقربكِ، مثلما تكون الشمس تضيء خلف الغيوم المظلمة. أردت أن أعبّر لك عن مدى مشاعري، فصمتي كان يعاني من الكلمات الذي يوثقها عقلي ولكن قلبي ينطق بكلمات العشق.

أردت فقط أن تعلمي كم أنتِ بحجم السماء في عيني، وكم أنا سعيد بوجودكِ في حياتي.

احتضنتُ يدكِ برفق وكنتُ أشعر برغبة قوية في أن أؤكد لكَ مدى مشاعري، كم كان يوم مميز بوجودك.

لأيامٍ وليالٍ متتابعة، تحدثنا بلا توقف وملأت حياتنا بالسعادة والحب.

لا يمكنني أن أخفي سعادتي عندما أرى ابتسامتك البهية تتسع على شفتيك. لقد وجدت فيكِ الشريكة المثالية، إنها اللحظة التي تشكلت فيها قصة حبٍ لا تُنسى.

●حَبٌّ.

الآونة الأخيرة، عندما تكوني قريبة مني، يبدأ قلبي في الخفقان بشدة، حتى عندما أسمع صوتك أو ذكر اسمك أحساس عظيم ينتابني عند حضورك، يشعرني بأنني على وشك رؤية العالم بأكمله من منظور جديد ، أشعر بالفخر والاعتزاز لكونك فلسطينية عادات وتقاليد جديدة وجميلة جعلت كل ما حولي عظيم ، لا أجد كلمات تكفي لوصف مدى سعادتي و راحتي حين أكون بجانبك ،

قربك يشعرني بالأمان والاطمئنان، وانبهاري بأسلوبك الفريد في التعبير وأفكارك الإيجابية رغم كل ما مررتي به لازلتي متفائلة طموحة رزقك الله كل تحبين يا "فلسطينيتي " .

"أناديكِ دائماً بـ "فلسطينيتي" لأشعر بما أمتلك يا حبيبتي.

أنتِ تجسدين رمزًا حيًا لوطنك العزيز، فأنتِ واحة الأمل التي تنذرني بأن فلسطين ليست مجرد جغرافيا بل هو هويتك التي تنبض بالفخر والإصرار.

في وجهكِ أجد تاريخ الصمود والتضحية،

وعيونكِ تحكي قصة شعب لم يستسلم ، بل استمر في السعي لحريتهِ واستعادة حقوقه. إنكِ جسرٌ بين الماضي والحاضر، وصوتٌ يعلو بطولات وصبر الأجداد.

فنظرات عينيكِ براحة البحر، تنقش في قلبي أملاً جديدًا، تدعوني إلى التأمل والتفاؤل. أنتِ أبعد ما يكون عن كونكِ مجرد اسمٍ أو هويةٍ ورقية، بل أنتِ نغمةُ الوَفاء والانتماء التي تُلحَن بأوتار الحياة.

عبارتي "فلسطينيتي" تجسدًا للمحبة والولاء، ودليلًا على تمسكي الشديد بأرضك وأصولك.

**** ****

في زواياكِ أرى حكاياتٍ تُروى
و في ثناياكِ أسمعُ ألحانًا تُغنّى
مِنْ بُحُورِكَ الصَّافِيَةِ إِلَى جِبَالِكَ الشَّامِخَةِ
وَمِنْ زَيْتُونِكَ الْمُعَمَّرِ إِلَى أَرْضِكَ الْمُقَدَّسَةِ
كلّ ذرّةٍ فيكِ تُنادي بالحرّية و العدل
يا رمزَ الكرامةِ و الصمودِ
يا شعلةَ النضالِ و الأملِ
سنبقى على العهدِ و الوعدِ
سنحرّركِ من قيودِ الظلمِ و الاحتلالِ
و سنُعيدُ إليكِ بريقَكِ و جمالكِ
و سنُنيرُ سماءَكِ بِشمسِ الحرّيةِ و السلام.

● عِيدٌ.

أَوَلْ عِيدٍ لَنَا سَوِيًّا، عِيدُنَا، عِيدَيْنِ بُوجُودِكِ ، سَأَظَلُّ أَذْكُرُ وَجُودَكِ، لِكُونِهِ أَعْظَمَ النِّعَمِ. صَبَاحُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كُنْتِي فِي أَبَهَى حُلَّتِكِ، بِدُونَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الزَّائِنَةِ ، يَا حَبِيبَتِي.

أَفَاقَنَا مُبَكِّرًا، ذَهَبْتُ لِأَدَاءِ صَلَاتِي فِي الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَمَا عَدْتُ، دَخَلْتِ شَقَّةَ وَالِدَيْ. سَلَّمْتِ عَلَى الْجَمِيعِ، أُمِّي، أَبِي، وَأَخَوَاتِي. لَقَدْ شُعِرْتُ بِلَحَظَاتِ دِفْءِ الْعَائِلَةِ، فَهِيَ إِحْدَى أَغْلَى الْأَشْيَاءِ فِي الْحَيَاةِ.

اقتربتُ من بَابِ الشقة وَسَمَعْتُ صَوْتَ طَرْقٍ خَفِيفٍ لِلْغَايَةِ، فَفَتَحْتُ البَابَ ووجدتُكِ تَنْتَظِرِينَنِي. أَصْبَحْتِ أَجْمَلَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مُضَى، رَقِيقَةً يا حَبِيبَتِي، رَقةً بِلا حُدُودٍ. أَمَسَكْتُ بِيَدِكِ وَقُمْتُ بِتَقْبِيلِهَا بِامْتِنَانٍ عَلَى نَظْرَاتِ عَيْنَيْكِ وَابْتِسَامَتَكِ فَمَكِ.

إنضممتِ إلى أسرتي المُحِبَّة ، كَانَتْ أُمِّي سَعِيدَةً جِدًّا بِرؤيتِكِ وَقَدْ طَغَتِ ابْتِسَامَتُهَا عَلَى وَجْهِهَا.

أَحْضَنْتِكِ أُمِّي بِكُلِّ حُنَانٍ، وَرَأَيْتُ فِي عَيْنَيْ أَبِي وَأَخَوَاتِي الْفِرَحَةَ وَالِاهْتِمَامِ. بِكَلِمَاتٍ مُفَعَّمَةٍ بِالْحُبِّ، رَحَّبُوا بِكِ فِي أُسْرَتِنَا وَأَعْرَبُوا عَنْ سَعَادَتِهِمُ الْكَبِيرَةِ بِوُجُودِكِ. أَنْتِ أَضَفْتِ لَمْسَةً مِنَ الْجَمَالِ وَالْحَيَوِيَّةِ فِي حَيَاتِنَا، وَأَصْبَحْتِ جُزَءً لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ قُلُوبِنَا.

نَمَتِ الْابْتِسَامَاتُ عَلَى وُجُوهِنَا وَنَثَرْتِ الْبَهْجَةُ فِي الْمَكَانِ. تَبْدَأُ اللَّحْظَاتُ الْعَائِلِيَّةُ الْجَمِيلَةُ بِالِاتِسَاعِ وَتَسْطُعُ الْأَمَانَةُ وَالْاِسْتِقْرَارُ فِي قُلُوبِنَا. وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، أَدْرَكْتُ أَنِّي مُحَظَّوظٌ لِأَنَّنِي أَمْتَلِكُ عَائِلَةً مِثْلَ هَذِهِ.

طَاوِلَتُنَا مَلِيئَةٌ بِأَطْبَاقِ الْحُلْوَى وَالْمَأْكُولَاتِ الْمُفَضَّلَةِ لِنَا جَمِيعًا، وَقَدْ قَامَتْ أُمِّي بِتَحْضِيرِ الْعَشَاء بِكُلّ حُبٍّ وَعِنَايَة. كان الجو مليئًا بالضحكات والمزاح، وكُلّ وَاحِدٍ مِنّا كان يُسْعى لجعل هذا اليوم خاصًا ومبهجًا للجميع.

فِي نِهَايَة هَذَا الْيَوْم الْمُمِيْز، اجتَمَعْنَا كَعَائِلَة لِلصَّلَاة ونَحْنُ نَشْكُرُ الله عَلَى نِعْمَة وجُود بَعْضُنَا الْبَعْض. بِالْفِعْل، يَا فَلَسْطِينِتِي، أنْتِي كُلّ حَيَاتِي. وَبِفَضْلِ وُجُوْدِكِ، أصْبَحْتُ أُدْرِكُ قِيمَة هَذِهِ اللَّحْظَات الْجَمِيْلَة التِّي نَمْلِكُهَا، وَأَشْعُرُ بِالإِمْتِنَان الْعَمِيْقِ.

أَشْكُرُ الْمُولَىٰ أَنَّهُ جَمَعَنَا..

• بَحْر.

معًا نَقِفُ أمَامَ الْبَحْرِ، تَبْدُو الأَمَوَاجُ وَكَأَنَّهَا تَصْعَدُ لِتَحْتَضِنَنَا بِحَنَانِهَا. نَشْعُرُ بنَسِمَاتِ الْهَوَاءِ الْعَلِيلَةِ تَلَامُسُ وُجُوهَنَا، مُعَزِّزَةً شُعُورَنَا بِالسُّكُونِ وَالسَّلَامِ. يَدًا بِيَدٍ، نَتَأَمَّلُ جَمَالَ اللَّوْنِ الْأَزْرَقِ اللَّامِتَنَاهِيِّ لِلْمَيَاهِ وَنَسْتَمِعُ إِلَى أَنْغَامِ الْمَدِّ الْهَادِئَةِ التِّي تَخْتَرِقُ أُذُنَّنَا كَنْغَمَةِ مُوسِيقَى هَادِئَةٍ تُهَدِّي الْقَلْبَ وَتُهَدِّئُ الْعَقْلَ.

نظَرَتِ نَحْوَكِ بُحَبْوَرٍ، تَجَمَّعَتِ الدُّمُوعُ فِي عَيْنَيْكِ، مَسَحْتِهَا بِرَفْقٍ وَسَأَلْتِكِ: "مَا الْأَمْرُ؟" قُمْتِ بِمُعَانَقَتِي لِلْمَرَّةِ الْأُولَى عَادَةً مَا أَكُونُ أَنَا الشَّخْصُ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ، أَحْتَضِنُكَ كَثِيرًا، لَعَلِّي أَزِيْلُ بَعْضَ الْأَمَكِّ. أُبَثِّ الطَّمَأْنِينَةَ فِي قَلْبِكَ ، أمّا الآن فمعانقتُك لي من تلقاء نفسك، تَوَقَّفَ الزَّمَنُ مِنْ حَوْلِي عِنْدَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، إِنَّهُ إِحْسَاسٌ لَا يُضَاهَى، بِرَحَابَةِ قَلْبٍ، شَدَّدْتُ عَلَى حُضْنِكِ، نَطَقْتُ بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْعَذْبَةِ وَالْمُلِئَةِ بِالْحَنَانِ، لِإِهْدَأَ قَلَقَكِ وَأُطْمِئِنَ قَلْبَكِ.

علِمتُ فيمَا بَعْدَ، أنَّ سَبَبَ بُكَائِكِ يَعُودُ إِلَى اِمْتِنَانِكِ الشَّدِيدِ لِتَوَاجُدِي هُنَا، لَحَظَاتِنَا تِلْكَ تُذَكِّرُكِ بِأَهْلِكِ، لَا بَأْسَ عَزِيزَتِي فَأِنَّا هُنَا ، لأكون دعامكِ وملجأكِ القوي. سأذكركِ باسم أحبائكِ بكل يوم وسأواسيكِ وأشدُّ بكَ حينما تحتاجي. عليكِ أن تعي أنني سأبقى هنا إلى الأبد.

● فَرَحٌ.

بعد كرم الله لي، قررتُ أن أصنع لكي زفافًا خاصًا، يليق بمكانكَ في قلبي ، يُعبّرُ عن حبّي
وإخلاصي، ويُخلّدُ لحظاتِنا السعيدةِ
ذاك اليوم الصباح الباكر، في منزل جدي العريق تجمعنا .
تسللت أشعة الشمس من خلال النوافذ الضخمة ، ملقيةً ضوءها على الزخارف الذهبية التي تُزين سقف الصالة.
كانت الزينة التي تم وضعها في اليوم السابق لا تزال ساطعة ، تعكس ألوانها الزاهية على الأرضية الرخامية ، وغطّت السجاد الفاخر الأرضية، بألوانها الدافئة ونقوشها المتنوعة.
جلس الرجال في مكان منفصل، بينما تواجدت النساء في مكان آخر.
أما أنتِ تزينتِ بفستان أبيض ناصع، يضاهي بياض روحك.
يبدأ الفستان من أعلى مع أكمام من الدانتيل الرقيق، تُبرز جمال ذراعيها الرشيقتين. ينساب الفستان بسلاسة على جسدها، يُبرز جمال قوامها الممشوق.
يُزين الفستان بأحجار الراين اللامعة التي تُضفي عليه لمسة من الفخامة. يُحيط بخصرها حزام من الساتان الأبيض،

يُبرز جمال خصرها النحيف.
ينساب الجزء السفلي من الفستان بشكل أنيق على الأرض، يُشبه غيمة من الحرير الناعم. يزينه ذيل طويل من الدانتيل، يُضفي عليه لمسة من الأناقة.
تُكمل إطلالتها بتاج من اللؤلؤ الأبيض، يُزين شعرها الأسود الناعم. تُزين وجهها بابتسامة عريضة، تُظهر سعادتها الغامرة في هذا اليوم المميز.
جَمِيعُ نِسَاءِ عَائِلَتِي يَقِفْنَ حَوْلَكِ ، تَطلى مِنْ بَيْنِهِنَّ كَأَنَّك قَمَرٌ في لَيْلَةِ اكْتِمَالِهِ ، يَزْدادُ بَرِيقُهَا مَعَ كُلِّ نَظْرَةٍ، وَتَزْدادُ سَعَادَتُهَا مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. تُشَارِكُهُنَّ الضَّحَكَاتِ وَاللَّحظَاتِ الْجَمِيلَةَ، ابتسمتُ فور رؤيتكِ، شعرتُ بسعادة غامرة ، ونسيتُ كلّ ما حولي ، لم أعد أرى سوى جمالكِ الآسر ، تقدّمتُ منكِ بخطواتٍ ثابتة ، بينما كانت عينيّ تراقبان كلّ حركة من حركاتكِ. شعرتُ بارتباكٍ خفيف، لكنّ سعادتي كانت أكبر من أيّ شعورٍ آخر.
وصلتُ إليكِ، وأخذتُ يدكِ برفق. شعرتُ بدفء يدكِ، ونعومة بشرتكِ. نظرتُ في عينيكِ، ورأيتُ فيهما حبًّا لا ينضب.

قلتُ بحب :

تَطلى مِنْ بَيْنِهِنَّ كَأَنَّك قَمَرٌ

في لَيْلَةِ اكْتِمَالِهِ

في عينيكِ أرى الكونَ جميلًا

وفي ابتسامتكِ أرى السعادةَ الكاملةَ

كلماتُكِ لحنٌ عذبٌ يملأُ أذني

وحضورُكِ دفءٌ يُحيطُ بِكلِّ مَنْ حولي.

فابتسمتِ، وقالتِ: أنتَ شاعرٌ رائعٌ.

قلتُ: لكنّكِ أنتِ مَنْ ألهمتني هذهِ الأبياتِ.

فأجابتْ بخجلٍ: أدامك اللهُ يا إلياس انت عوضي عمّا فاتني.

و قامتْ بتقبيلِ يدي.

فَشَعَرْتُ بِدَفْءِ حُبِّهَا يَمْلأُ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي جَسَدِي ، ضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي،

وَقُلْتُ لَهَا بِصَوْتٍ خَافِضٍ: أَنْتِ أَجْمَلُ مَا حَدَثَ لِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

بدأ موكب الزفاف ساد جو من الفرح والبهجة، مع ترديد الأناشيد الدينية ومشاركة الحلوى مع الحضور.

كان حفل زفاف بسيط ، لكنه غني بالمشاعر الصادقة والدعوات الطيبة.

•بِرْكَةٌ.

براءةُ حبيبتي،

منذُ دخولكِ حياتي، حلتْ البركةُ، ورزقني اللهُ بكنوزٍ لم أكنْ أحلمُ بها يومًا.

قمنا بزيارة بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف ،معًا وأداء العمرة.

ففي رحابِ اللهِ، شعرتُ بقربِكِ مني أكثر من أيّ وقتٍ مضى.

بعد أداء العمرة، شعرتُ بمزيجٍ من المشاعرِ المتناقضةِ، فرحٌ عميقٌ وراحةٌ نفسيةٌ لا توصف، وامتنانٌ للهِ على فضلهِ وكرمهِ، وخوفٌ من اللهِ ورهبةٌ من عذابهِ.

شعرتُ كأنّني ولدتُ من جديدٍ، وكأنّ ذنوبي قد غُسلتْ جميعًا، وكأنّني في جنةٍ على الأرضِ.

كان شعورًا لا يمكنُ وصفهُ بالكلماتِ، شعورٌ داخليٌ عميقٌ يملأُ الروحَ والبدنَ.

وخلال رحلتنا المباركة، قضينا لحظاتٍ جميلةٍ لا تُنسى، سأظلّ أتذكرها ما حييتُ:

في المسجد الحرام، وقفنا معًا تحت سقف الكعبة المشرفة، ندعو اللهَ ونرجو من فضلهِ وكرمهِ.

تجولنا بين أروقةِ المسجدِ النبويّ الشريف، ونورُ إيمانِنا يزدادُ سطوعًا.

صعدنا جبلَ أحدٍ، ونحنُ نتذكرُ شجاعةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وصحابتهِ الكرامِ.

تناولنا الطعامَ معًا في أحدِ مطاعمِ المدينةِ المنورةِ، ونحنُ نتحدثُ عن ذكرياتِنا الجميلةِ.

تبادلنا أطرافَ الحديثِ في لياليِ المدينةِ الهادئةِ، ونحنُ نتأملُ نجومَ السماءِ.

كنا نضحكُ معًا ونبكي معًا، ونحنُ نشعرُ بدفءِ مشاعرِنا تجاه بعضنا البعضِ.

كنا نشعرُ بِقُربِنا من اللهِ تعالى، ونحنُ نؤدّي العباداتِ ونُحِسّنُ الظنّ بهِ.

•يَارا.

يَارَا أُختِي التَّوْأَم أَنْهَتْ دِرَاسَتَهَا الْعَامَ الْمَاضِي فِي الطِّبِّ وَحَصَلَتْ عَلَى دَرَجَةِ الْبَكَالَوْرِيُوسَ بِتَمَيُّزٍ.

أَشْعَرُ بِالسَّعَادَةِ وَالْفَخْرِ بِأُختِي يَارَا، فهي لم تُنهِ دراستها فقط بتقدير ممتاز، بل حظيت أيضًا ، بخطيب طَيِّبُ الْقَلْبِ، حَسَنُ الْخُلُقِ، بَشُوشُ الْوَجْهِ .

تَقَدَّمَ هذا الشاب لِخِطْبَةِ يَارَا بعدَ تَخَرُّجِهَا بِفَتْرَةٍ قصيرة، وكان ذلك بمثابة مفاجأة جميلة لنا جميعًا. لقد كُنَّا نَتَوَقَّعُ أنْ تَتَفرَّغَ يَارَا لِعَمَلِهَا كَطَبِيبَةٍ لِفَتْرَةٍ، لكنَّ إعجابها بِصِفَاتِ هَذَا الشَّابِّ وَحُبَّهُ لَهَا جَعَلَنَا نُوافِقُ عَلَى الزَّوَاجِ، وَلِكَوْنِهِ جَارَنَا نَعْرِفُهُ مُنْذُ الصِّغَرِ وَهُوَ طَيِّبٌ مِثْلَهَا، وَتَمَّ الزَّوَاجُ بِسُرْعَة .

أُقِيمَ حفل زفاف " يارا " في جوٍّ من السعادة والبهجة، حضره جميع أفراد العائلة والأصدقاء. لقد كان حفلًا بسيطًا لكنه مُميزًا، عكسَ حبَّ يارا وزوجها لبعضهما البعض

بعدَ الزواج، استقرت يارا وزوجها في بيتٍ جديدٍ .

حصلت يارا على عملٍ كطبيبة في مستشفى قريب، بينما واصل زوجها دراسته العليا. لقد كانا يدعمان بعضهما البعض في مساعيهما المهنية، ويشجعان بعضهما البعض على تحقيق أحلامهما.

بعدَ عامٍ من زواجهما، رزقَت يارا وزوجها بمولودٍ جميلٍ أسمياه "مُحمّد". بارك الله لهم فيه.

بعد يومين من هذا الحدث المبهج ، عدتُ من العملِ الليليّ، كعادتي ، ودخلتُ شقة والديّ لأُسلّمَ على الجميع.

سألتني أمي، بحنانٍ وحبّ، عن رغبتها في التحدثِ معي حول أمرٍ هامّ.

قالت أمي : "بُني، مرّ أكثر من عام ونصف على زواجك، ونحنُ نتوقُ إلى وجود حفيدٍ يُشاركنا حياتنا ويملأُها بهجةً وسعادةً."

رددتُ عليها بنفس الحنان: "لا تقلقي يا أمي، سوف نستشير طبيبًا حول هذا الأمر ونبذل قصارى جهدنا لجعل حلمكِ حقيقةً."

استمعتُ باهتمامٍ لما كانت تقوله، وفهمتُ رغبتها الصادقة في وجود حفيدٍ يُشاركنا حياتنا.

بعد إن أخبرت زوجتي بما دار بيننا ، قمنا بزيارة الطبيب في المستشفى التي تعمل بها أختي لإجراءِ بعض الفحوصاتِ الطبيةِ للتأكد من قدرتنا على الإنجاب.

أظهرت نتائجُ الفحوصاتِ أن زوجتي بصحةٍ جيدةٍ وقادرةٍ على الإنجاب.

ولكن، أظهرت الفحوصات أيضًا وجود بعض العوامل التي قد تؤخر حدوث الحمل لفترة ليست بقصيرة .

غمرني الحزنُ الشديدُ، بينما انهارت براءةُ تمامًا تحت وطأةِ الخبر.

طمأنتني كلماتُ الطبيبة :

أُدركُ تمامًا شعوركم بالحزنِ واليأسِ بعد سماعِ نتائجِ الفحوصاتِ. لكن، أُريدُ أن أُؤكّدَ لكم أنّ الأمرَ ليسَ بالسوءِ الذي تتوقّعونَه.

صحيحٌ أنّ هناكَ بعض العوامل التي قد تُؤخّرُ حدوثَ الحملِ لفترةٍ ليست قصيرة، لكنّ هذا لا يعني أنّ الإنجابَ مستحيلٌ. مع اتباعِ العلاجِ المناسبِ، والصبرِ، والإيمانِ باللهِ، ستتمكنونَ من تحقيقِ حلمِكم في تكوينِ عائلةٍ سعيدة.

خرجنا من عند الطبيب، ودموعُكِ لا تزالُ متلألئةً في جفنيكِ الحمراوين .

مشيتُ بجانبكَ وأمسكتُ يدكَ، وقلتُ بهدوء :

صغيرتي أفهمُ تمامًا شعوركِ بالحزن واليأس بسبب عدم قدرتنا على الإنجاب في الوقت الحالي. أعلمُ أنّكِ كنتِ تتوقين بشدة إلى تكوين عائلة، وأنّ هذا الأمر كان يملأُ قلبكِ بالأمل والسعادة.

لكنّني أريدكِ أن تعلمي أنّني لا أُشاركِ نفس الشعور باليأس. أُؤمنُ بأنّ الله سبحانه وتعالى هو مُعطِي النعم ،أُؤمنُ بأنّ اللهَ سبحانه وتعالى لن يُخيّبَ أملنا، ولن يُضيّعَ صبرنا. سَيُرزقُنا بطفلٍ جميلٍ في الوقتِ المناسب. لا تُضيّعي إيمانكِ بالله، ولا تُسلّمي نفسكِ لليأس والقنوط.

براءة:

"لا أعرفُ يا إلياس، أشعرُ باليأسِ والحزنِ."

إلياس:

"لا تيأسِي يا حبيبتي، نحنُ معًا وسنُتخطّى هذهِ المحنةَ بإذنِ اللهِ. تذكري أنّنا واجهنا صعوباتٍ كثيرةً في حياتنا، لكنّنا هزمناها جميعًا بفضلِ صبرنا وتعاوننا. هذهِ المحنةُ أيضًا ستمرّ، وسيأتي يومٌ نُرزقُ فيهِ بطفلٍ يملأُ حياتنا فرحًا وسعادةً."

براءة:

"لكنّني أشعرُ بأنّني فاشلةٌ، لم أتمكنْ من تحقيقِ حلمِ الأمومة."

إلياس:

"لا تقولي هذا يا حبيبتي، أنتِ لستِ فاشلةً على الإطلاق.

الأمومةُ ليستْ واجبًا فقط، بل هي هبةٌ من اللهِ سبحانه وتعالى ، تذكري أنّ اللهَ سبحانه وتعالى يُحبّنا ويُريدُ لنا الخيرَ، ولن يُحرِمنا من نعمةِ الإنجابِ إنْ شاءَ اللهُ."

براءة:

"لكنّني أشعرُ بالقلقِ على مستقبلنا، ماذا لو لم نتمكنْ من الإنجابِ أبدًا؟"

إلياس:

"لا تقلقي يا حبيبتي، مستقبلنا بيدِ اللهِ، وهو خيرٌ رازقٌ. سنُواصلُ الدعاءَ والصبرَ، ونُؤمنُ بأنّ اللهَ لن يُخيّبَ أملنا."

وصلنا الطريق،

وها نحنُ نقفُ على عتبةِ منزلنا و قد صعدنا درجاتِ السلمِ، و فتحت بابَ الشقةِ، و دخلنا سويا.

في جوفي، خوفٌ يملؤني من ردودِ فعلكِ في الأيامِ القادمةِ، يكفي ما مررتِ بهِ من صعوباتٍ و آلامٍ، لا أريدُ أن أزيدَ عليكِ عبئًا جديدًا.

أُريدُ أن أُخفّفَ عنكِ ، فأنا أكثر من يعرف أحلامكِ، و كم كنتِ تُريدين أن تنجبي أطفالًا كثيرين ، تُحدّثينهم عن قضيتكِ، و تسمّيهم على أسماء عائلتكِ .

لكنّني، ظاهريًا، كنتُ مبتسمًا ، لأُطمئنَكِ و أُخفّفَ من قلقِكِ ،

أخذتكِ من يدكِ و قمتُ بمعانقتكِ ، فانفجرتِ بالبكاءِ،
كأنّ السدّ قد انهارَ ، و الدموعُ قد انهمرتْ كالنهرِ .
شعرتُ بألمِكِ و حزنِكِ ، فَضممتُكِ إلى صدري،
و همستُ في أذنِكِ بكلماتٍ طيبةٍ ، تُشعرُكِ بالأمانِ
ظللنا هكذا حتى هدأتِ و نمتِ بين أحضاني.
أخذتُ أنظرُ إلى قسماتِ وجهِكِ و أنتِ نائمةٌ ،
و بكيتُ على حالِكِ،
فلو كان بيدي لَأعطيتُكِ الدنيا كاملتنَ و لن أبالي.
الأيامُ التالية،
مرّتْ بهدوءٍ تامٍّ، خالٍ من بهجتكِ و حضورِكِ المتألقِ.
كنتِ تجلسينَ بساعاتٍ، تَنْظُرُ إِلى ما لا يَرَى ، صامتةً.
كَأَنَّها تَحْلُمُ بِحُلْمٍ رُبَّانِيٍّ لا يَحْلُمُ بهِ غَيْرُها، كَأَنَّها تَسْكُنُ عَالَمًا مَلَكُوتِيًّا لا يَسْكُنُهُ غَيْرُها .
كَأَنَّها تَحْيَا حَياةً رُوحَانِيّةً لا يَحْيَاها غَيْرُها، كَأَنَّها تَمُوتُ مَوْتًا رَحْمَانِيًّا لا يَمُوتُهُ غَيْرُها.
كَأَنَّها تَفْتَقِدُ شيئًا لا يَفْتَقِدُهُ غَيْرُها، كَأَنَّها تَبْحَثُ عن شيءٍ لا يَبْحَثُ عنهُ غَيْرُها.
كَأَنَّها تَحْتَاجُ إِلى شيءٍ لا يَحْتَاجُ إِليهِ غَيْرُها، كَأَنَّها تَخْشَى شيئًا لا يَخْشَاهُ غَيْرُها.

كَأَنَّها تَحْرِقُ شيئًا مِنْ رَغَبَاتِ الدُّنْيَا لا يَحْرِقُهُ غَيْرُها، كَأَنَّها تُنْقِذُ شيئًا مِنْ نَفْسِها لا يُنْقِذُهُ غَيْرُها.

أما أنا أظلّ هامشاً بالنسبةِ لكِ، لا يُؤثّرُ حضوري أو غيابي على حالتِكِ.

حاولتُ جاهداً أن أفعلَ المستحيلَ لإعادةِ البسمةِ إلى وجهِكِ، لكنّكِ على حالِكِ!

صمودٌ ينقلبُ هباءً ،

منّا من يَصمدُ طويلاً، يَواجهُ العواصفَ والبِلاءَ بقلبٍ ثابتٍ وعزيمةٍ لا تلينُ.

يَصبرُ على الفَقدِ والألمِ ، ويَتحمّلُ الضغوطَ والشدائدَ دونَ أن يَستسلمَ أو يُنهارَ.

كَأنّهُ جبلٌ راسخٌ لا تهزّهُ الرياحُ، وكَأنّهُ شجرةٌ باسقةٌ لا تُثنيها العواصفُ.

لكن ، تأتي أحياناً لحظةٌ بسيطةٌ، شيءٌ تافهٌ قد لا يُلفتُ انتباهَ أحدٍ، فتُصبحُ القشةَ التي تَقْصِمُ ظهرَ البعيرِ.

لحظةٌ تُفجّرُ كلّ ما تراكمَ من مشاعرَ مُكبوتةٍ، وتُطلقُ العنانَ لِدموعٍ حبيسةٍ ، وتُحوّلُ الصمودَ إلى انهيارٍ مُفاجئٍ.

مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ، بَدَأْتِ تَسْتَرْجِعِينَ نَفْسَكِ تَدْرِيجِيًّا بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْحُزْنِ وَالْآلَامِ.

غَمَرَتْنِي سَعَادَةٌ لَمْ أَشْعُرْ بِهَا مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ فَقَدْتُ الْأَمَلَ فِي اسْتِعَادَتِكِ...

فَكَأَنَّ الْعَالَمَ قَدْ انْفَتَحَ أَمَامِي مَرَّةً أُخْرَى.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ

بعدَ صلاةِ العصرِ، اتجهتُ إلى البيتِ.

فتحتُ بابَ الشقةِ، واتجهتُ إلى المطبخِ لتحضيرِ الطعامِ ، وبعدَ انتهائي من تحضيرِ الطعامِ ، وضعتُ الطعامَ على الطاولةِ ، ثمّ ناديتُ عليكِ بصوتٍ عالٍ ، لكنّني لم أسمعْ أيّ ردٍّ منكِ !!.

بحثتُ عنكِ في جميعِ أنحاءِ الشقةِ، لكنني لم أجدكِ.

انتابني القلقُ والتوترُ، فلم أعتدْ على غيابِكِ طويلًا ، اتصلتُ

بهاتفِكِ، لكنّ الرنينَ لم يُجابْ. ازدادَتْ حيرتِي وازدادَتْ مشاعري اضطرابًا.ماذا لو حدثَ لكِ مكروه؟!

وَلَكِنَّنِي، وَجَدْتُ وَرَقَةً فِي غُرْفَتِكِ مَوْضُوعَةً عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ ، فَتَحْتُهَا وَقَرَأْتُ مَا فِيهَا.

مُحْتَوَى الرِّسَالَةِ جَعَلَ قَلْبِي يَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ ؤ نِصْفٌ رَحَلَ مَعَكِ، وَنِصْفٌ بَقِيَ يَبْحَثُ عَنْكِ.

الرسالة :...

إلياس حبيبي،

أنت مِنْ بَقِيَ لِي مِنَ الدُّنْيَا أَوَدِّعُكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْقَهْرِ لِتَرْكِكِ هَكَذَا دُونَ سَابِقِ إِنْذَارٍ.

أَعْلَمُ أَنَّكَ تُحِبُّنِي لِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ، لَكِنَّنِي أُحِبُّكِ حبًّا أعظم بكثير ،أُحِبُّكِ حُبًّا جَمًّا ، حُبًّا لَا نِهَايَةَ لَهُ، حُبًّا غَرَسَهُ القَدَرُ فِي قَلْبِي مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى الَّتِي التَقَيْنَا فِيهَا.

لَكِنَّهُ القَدَرُ!!.

أَنْتَ تَسْتَحِقُّ الْأَحْسَنَ مِنِّي بِكَثِيرٍ، وَتَزَوَّجْ بِمَنْ أَحَبَّهَا قَلْبُكَ قَبْلَ مَعْرِفَتِكِ بِي، فَهِيَ تُحِبُّكَ أَيْضًا، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَمْنَحَكَ طِفْلًا يَشْبَهُكَ فِي حَنِيَّتِكَ اللَّامُتَنَاهِيَةِ.

لَوْ كُانْتُ طِفْلَةً فَسَمِّيْهَا عَلَى إِسْمِي لَعَلَّكَ تَتَذَكَّرُنِي يَوْمًا.

وَأَنَا لَنْ أَنْسَاكِ أَبَدًا.

سأظلّ أتذكّر كلّ لحظة جمعتنا، كلّ ابتسامة، كلّ نظرة، كلّ كلمة ، سأظلّ أتذكّر حنيتك وعطفك وصبرك عليّ.

وَإِنْ كُنَّا قَدْ افْتَرَقْنَا فِي الدُّنْيَا، فَلَعَلَّنَا نَلْتَقِي فِي الْجَنَّةِ.

وداعًا إلياس .

من هول الصدمة، جثيت على ركبتيّ، فما أنا إلاّ إنسان ضعيف، عندما أحبّ، أُتعلق، ثمّ أفارق.

بَقيتُ على حالي أستجمعُ كلّ ما حدثَ بيننا، فوَجَدتُ أنّ لا عيشَ لي بدونِكِ .

فأينَ أنتِ الآنَ؟

وأين أجدُكِ؟

و أين تسكنينَ؟ أعلمُ أنّكِ تمتلكين مالًا وفيراً، لكنّني قلقٌ عليكِ؟

هل تفكرُينَ فيّ كما أفكرُ فيكِ؟

هل تشعرُينَ بنفسِ الألمِ الذي يمزّقُ قلبي؟

جعلتني هذه الأسئلةُ أتوقفُ من فوري،

لأبحثُ عنكِ في كلّ مكانٍ.

لكنني لم أُرد أن أُثقل كاهلَ أهلي بمشاكلي.

وْ لم أسألْ أحدًا منْ الجيرانِ عنكِ، فإنْ سوءَ الظنِّ مرتفعٌ هذهِ الفترةِ عندَ معظمِ الناسِ، كما تعلمينَ.

قررتُ أن أبحثَ عنكِ بنفسي،

أبحثُ عنكِ في شوارعِ المدينةِ،

وفي فندقها.

أبحثُ عنكِ في وجوهِ الناسِ،

في عيونِهم،

في ابتساماتِهم ،
أبحثُ عنكِ في حزنهم، في بؤسهم.
أبحث عنكِ يمينًا و يسارًا،
أبحثُ عنكِ في كلّ مكانٍ،
لكنّني لا أجدُكِ.
إلى أن جلستُ على أحدِ المقاعدِ بجانبِ أحد الأشجارِ.
شعرتُ بالتعبِ والإرهاقِ،
عودتُ إلى شقتي في الثانيةِ فجرًا،
مُنهكًا ومُحطّمًا.
أُغمضُ عينيّ وأحاولُ أن أتخيّلَ وجهَكِ.
أُريدُ أن أسمعَ صوتَكِ،
أن أشعرَ بحرارةِ حضنكِ.
لكنّ كلّ ما أشعرُ بهِ هو الفراغُ.
لم أستطعْ أن أنامَ،
فكلّ ما كانَ في ذهني هو أنتِ.
صباح اليوم التالي،
جاءتْ إحدى أخواتي لِتَناديَ علينا لتناولِ فطورِنا معًا،
فهذا يومُ الجمعة ، يومُ التجمعِ العائلي.
طرقتْ أختي البابَ،
لكنّني لم أُجِبْ.

كنتُ مُستلقيًا على سريري،
أُفكّرُ فيكِ.
طرقتْ أختي مرةً أخرى،
هذه المرّة بصوتٍ أعلى.
نهضتُ من سريري،
وفتحتُ البابَ.
نظرتْ أختي إليّ ، ورأتْ الهالاتِ السوداءَ تحتَ عينيّ.
"ما بكَ؟" سألتْ
"لا شيءَ فقط تعبٌ قليلٌ "، أجبتُ.
لكنّ أختي حنان لم تصدّقْني.
دخلتْ إلى الشقةِ ، وجلستْ على الأريكةِ.
كانت حنان الوسطى أطيبَ القلوبِ و أحنها، أرتاحُ في الحديثِ معها.
سَأَلَتْ حَنَانُ: "مَاذَا حَدَثَ مَعَكَ يَا إِلْيَاسُ؟
ولَمْا أنت حزين هكذا ؟!
وأَيْنَ هِيَ بَرَاءَةُ زَوْجَتِكَ؟
لَمْ أَرَهَا مُنْذُ أَمْسِ."
فَقُلْتُ لَهَا: "لَا أدْرِي أُخْتِي، فَإِنَّ بَرَاءَةَ غَائِبَةٌ مُنْذُ أَمْسِ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ ذَهَبَتْ."
وَنَاوَلْتُهَا الرِّسَالَةَ الَّتِي تَرَكَتْهَا بَرَاءَةُ.

فَقَرَأَتْ حَنَانُ الرِّسَالَةَ .

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَتْ مِنْ قِرَاءَةِ الرِّسَالَةِ .

قَالَتْ حَنَانُ: "إِنَّ بَرَاءَةَ سَمِعَتْ الْحَدِيثَ الَّذِي دَارَ بَيْنَ أُمِّي وَأُخْتِي و أظنها رحلت لذلك، فهي دخلت الشقة فجأة وسمعت كل ما قيل وكانت حَزِينَةٌ جِدًّا ".

فَقُلْتُ: "وَمَا الْحَدِيثُ الَّذِي دَارَ بَيْنَ أُمِّكَ وَأُخْتِكَ؟"

فَقَالَتْ حَنَانُ: "كَانَتْ أُمِّي وَأُخْتِي تَتَحَدَّثَانِ عَنْكَ، وَقَالَتْ أُخْتِي إِنَّ بَرَاءَةَ لَا تَسْتَطِيعُ الإِنْجَابَ لفترة ليست بقصيرة ،وَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَكَ مِنْ امْرَأَةٍ آخَرَى لِتَنْجِبَ لَكَ طِفْلًا."

فَقُلْتُ: "وَمَا الْمُشْكِلَةُ فِي ذَلِكَ؟

اتَّعِلَمِي أَنَّنِي أُفَضِّلُهَا عَنِ الدُّنْيَا بِمَنْ فِيهَا، وَأَنَّنِي لَا أَرْغَبُ فِي الزَّوَاجِ مِنْ امْرَأَةٍ آخَرَى."

قَالَتْ حَنَانُ: "أَعْلَمُ أَنَّكَ تُحِبُّ بَرَاءَةَ جِدًّا، وَلَكِنَّ أُمَّكَ وَأُخْتَكَ قَلِقَتَا عَلَيْكَ، وَتُرِيدَانِ أَنْ تَكُونَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ ".

فَقُلْتُ لِحَنَانَ: "أَعْلَمُ بِقَلَقِ أُمِّي وَأُخْتِي، وَأَشْكُرُ هَمَّنَّ، وَلَكِنَّ هُنَّ لَا يَفْهَمْنَ حُبِّي لِبَرَاءَةَ .

إِنَّ حُبِّي لَهَا يَفُوقُ كُلَّ حُبٍّ آخَرَ، وَإِنَّنِي لَا أَرَى حَيَاتِي بِدُونِهَا. وَإِنَّ لَا أَرْغَبَ فِي الْوَلَدِ إِلَّا مِنْهَا،

وَإِنَّنَا نَصْبِرُ قَلِيلًا وَيَرْزُقُنَا الله طِفْلًا جَمِيلًا ، فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أُرِيدُ أَنْ أَقْضِيَ بَقِيَّةَ حَيَاتِي مَعَهَا".

فَقَالَتْ حَنَانُ: "نَحْنُ أَيْضًا نُحِبُّ بَرَاءَةَ جِدًّا، وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّنَا جَمِيعًا أَحْبَبْنَاهَا كَوَاحِدَةٍ مِنَّا".

فَقُلْتُ لِحَنَانَ بِوَهْنٍ: "بَرَاءَةُ، مُنْذُ أَنْ كَشَفْنَا عِنْدَ الطَّبِيبَةِ وَعَلِمْتُ أَنَّ لَدَيْهَا مُشْكِلَةً، انْصَدَمْتُ، وَضَاقَتْ عليها الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ. وَمُنْذُ يَوْمَيْنِ فَقَطْ، بَدَأَتْ تَسْتَعِيدُ نَفْسَهَا، وَالآنَ حَدَثَ مَا حَدَثَ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ لِأُطْمَئِنَّهَا، و تَخْتَفِي فَجْأَةً هَكَذَا!!."

وَأَدْمَعَتْ عَيْنَايَ، َأَخَذَتْنِي حَنَانُ فِي أَحْضَانِهَا.

فَقَالَتْ حَنَانُ: "لاَ تَحْزَنْ يا أَخِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَكَ، وَإِنَّنَا كُلُّنَا سَنَبْحَثُ عَنْ بَرَاءَةَ ، وَلاَ تَقْلَقْ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهَا ذَكِيَّةٌ جِدًّا، وَسَنَلْقَاهَا قَرِيبًا بأذن الله.

انتهى الحوار بيني وبين حنان عند هذا الحد .

فأخبرتها أنني سأبقى في شقتي، وقلت لها:

"أَعْلِمِي وَالِدَيْكِ أَنَّنَا بِخَيْرٍ، وَلا تَشْغَلِي بَالَهُمَا بِأَمْرِنَا، فلا تقلقي أحدًا".

وَدَّعَتْ حَنَانُ وَ قَفَلَتْ بَابَ الشِّقَّةِ وَ جَلَسَتْ عَلَى الْأَرِيكَةِ.

و فَتَحْتُ جَوَالِي عَلَى بَرْنَامَجِ الْوَاتْسَ أَبْ، فَخَطَرَ عَلَى بَالِي أَنَّ إِرْسَالَكِ لِاسْلَكَيْنِ قَدْ تَكُونِينَ مُتَّصِلَةً فِي أَيِّ وَقْتٍ.

تصفحتُ المحادثاتِ بينَنا،

فلمْ أَجِدْ سِوى كلماتٍ بسيطةٍ جدًّا ، لمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ يومًا أنْ سأَكتُبَ كلَّ هذهِ الرَّسائِلِ لكِ .

● فَرَاقُنَا.

فَرَاقُنَا كَانَ صَعْبًا مُؤْلِمًا ، فِي ذَاكَ الْعَصْرِ الشَّاحِبِ وَالأَيَّامِ الْعَتِيقَ رَحَلْتِ ، تَارِكَةً قُلُوبَنَا مُشْتَاقَةً ، مُحْزُونَةً وَ كَأَنَّ الْعَالَمَ اكْتَسَى ثَوْبَ الْحُزْنِ وَالآلامِ ، تَرَكْتِ فِي الْقَلْبِ جُرْحًا غَائِرًا، لاَ يَنْدَمِلُ وَذِكْرَى حُبٍّ خَالِدٍ، لاَ يُنْسَى وَدُمُوعًا هَامِلَةً، لاَ تَتَوَقَّفُ

فَكَيْفَ لِي بَعْدَكِ أَنْ أَعِيشُ؟

وَكَيْفَ لِي أَنْ أَنْسَى؟

وَكَيْفَ لِي أَنْ أَتَجَاوَزَ هَذَا الْحُزْنَ الْعَظِيمَ؟

لاَ أَدْرِي.

ذكرياتنا معًا تُطارِدُني في كل مكان،

ففي كل زاوية ، وفي كل لحظة ، أرى طيفكِ يملأُ عينيّ ، وأسمع صوتكِ يرنّ في أذنيّ ،

سأظلّ أتذكرُ ابتسامتكِ، ودفء حضنكِ، وطيب كلماتكِ.

سأظلّ أتذكرُ كل شيء جميل جمعنا معًا.

إلي أن نلتقي...

أول رسائلي

أكتب إليكِ لأقول لكِ كم أخشى فقدانكِ ، حاملاً في كلماتي كل ما يعتل في صدري.

مشاعرٌ مختلطة، أفكارٌ متداخلة، وحنينٌ يملأ قلبي.

بَرَاءَة...

منذ أن وعيتُ على وجهك أدمنَّت رؤيته. لعن الله تلك الظروف التي فصلت بيننا. ليتكِ تدخلين إلى أعماق قلبي، فترى كم أنا عاشقاً لكي كم تتعذب هذه الروح لعدم رؤيتكِ. ذاتي تسعد برؤية وجهكِ، فكيف حالي في بُعدكِ؟ روحٌ بلا جسد، ابتسامةٌ بلا حياة، حديثٌ بلا تعبير. فقدتُ كل شيء، ففقدانكِ يعني فقدان كل شيء وأي شيء.

أعيدوا كلماتي في حين صمتي وبكائي، إنها رسالتي إليكِ أيتها المفقودة عن عيني، فأنتِ من تسطرين قصتي وتعطيني معنىً لوجودي. أُحِبّكَ وأتوق إلى اليوم الذي نلتقي فيه مجدداً، حيث سأضعُ ذراعي حولكِ وأقول لكِ أنا هنا، لا تخفي.

و لتعلمي لو أن الدنيا كاملة معَّى و خيرُونى بينها و بينكِ لاخترتُكِ ولم أشكك في اختيارى. فأنتِ العالَمُ كُلَّهُ بالنسبة لي . أشتاق إلى لمس يديكِ ، تقبيلها ، إحساسى بها. أشتاق إلى نظرة من عينيكِ ، ابتسامة من فمكِ، لمسة من يدكِ . كل شيء متوقف حتى تحيِن رؤيتكِ.

أنا هنا الآن أعترف بأنني لن أجد شخصًا آخر يملك جماللكِ وروعتكِ. لا أجد في هذا العالم نسمة تشدني بنفس القوة

وتجعلني أحس بالسعادة ككونكِ. أنا لا أستطيع نسيانكِ ،

لا يمكنني أن أخلص لأحد غيركِ.
أشعر بأنكِ قد غرستِ في داخلي بذور الحب والأمل. كل يومٍ يمر، أشعر بكِ تنبتين بشكلٍ جديد في قلبي، ولا يمكنني إلا أن أحتضن هذا الشوق والحنين بكل اخلاص. أنا مغرم بكِ بشكلٍ لا يمكن وصفه بالكلمات، ولا يوجد شيء في هذه الحياة يمكن أن يضاهي حبي لكِ.
أنتي جزء من وجودي ، أنا جسد بل روح إن عدتي فعادت إلي روحي حياتي ، أظنك تفكرين الآن من أين أتيت بكل هذا الحب فأقول وبكل ثقه ؛
وضعه الخالق عز وجل في قلبي إلي يوم لِقَائِنَا مجدداً و لن أيأس، ولن أشعر باليأس. فأنا هنا وسأظل هنا، أحبك إلي أبد الدهر و أخر العمر و الأزل...

السبت :..

اليوم الثاني /
أكتبُ إليكِ هذه الرسالةَ وأنا حزينٌ ومُنكسرُ القلبِ.
لقد هزّني خبرُ مغادرتكِ للبيتِ هزّاً عنيفًا، وما زلتُ أعاني من صدمةِ ما حدثَ.
أُريد منكِ العودة إلى المنزل.
أَشْعُرُ بِالنَّدَمِ الشَّدِيدِ على سوءِ الفَهْمِ الذي حَدَثَ بينَكِ وَبَيْنَ أُمّي.

الأحد:..

اليوم الثالث /

أكتب إليكِ لأقول لكِ كم أحتاجكِ ، كالهواء الذي أتنفسه.

مرَّ يومانِ على الناسِ، لكنَّهُما مرَّا عليّ كقرنينِ من الزمنِ.

استيقظتُ اليومَ ولم أجدكِ، فشعرتُ كأنَّني قد مُتُّ، في قبري، تحتَ الترابِ.

هذا هو ألمُ الفراقِ، ألمٌ لا يُوصفُ، لا يُقاسُ، لا يُضاهى.

أشعرُ كأنَّ العالمَ قد سقطَ على رأسي، ولم يبقَ منهُ سوى ظلامٍ دامسٍ.

الإثنين:..

اليوم الرابع /
أكتب إليكِ لأعبّر عن مشاعري، مشاعر لا أستطيع كتمانها، مشاعر تُخنقني،
لما عدتُ من العمل، فتحتُ باب الشقة، فنظرتُ في كل مكان تواجدتِ فيه يوماً.
هنا كنتِ جالسة، وهناك كنتِ واقفة. كل زاوية في هذا المنزل تذكرني بكِ، تذكرني بضحكاتنا، بدموعنا، بمشاعرنا المتناقضة. كل شيء هنا يشبهكِ، وكأنكِ لم تغادري يوماً.
أشعر بالوحدة تملأني، كأنّ جزءاً من روحي قد ذهب معكِ، كأنّ شيئاً ما مفقود. لا أستطيع التركيز على أي شيء، كل أفكاري تدور حولكِ، حول ذكرياتنا، حول أحلامنا التي لم نُكملها.
رجاءً عودي.

الثلاثاء:...

اليوم الخامس/
صباحٌ الخير ،
طُولَ اللّيلِ كنتِ معي في أحلامي، فكنتُ في غايةِ السعادةِ.
وعندما استيقظتُ، صدمَني الواقعُ بفراقِنا.

الاربعاء:...

اليوم السادس/
مرحباً...
هذا المساءُ يذكرني بذكرياتٍ حلوةٍ ولطيفةٍ.
لا أدري في هذا المساءِ شيءٌ من رائحةِ الماضي عادَ كنتِ برفقتي فيها .
الجوّ جميل، رياحٌ كانونيةٌ خفيفةٌ محمّلةٌ برذاذِ مطرٍ خفيف.
أقفُ في شرفةِ منزلي، أراقبُ قطراتِ المطرِ وهي تتساقطُ على الأرضِ.
أستنشقُ هواءً عليلاً منعشًا ، الساعةُ تشيرُ إلى الثانيةِ بعدَ منتصفِ الليلِ، لا بدرَ في السماءِ، فقط نجومٌ متراصةٌ تشعُّ بأنوارِها على كوكبِنا المظلمِ بفسادِ الناسِ.

الخميس:...

اليوم السابع/

أكتب إليكِ هذه الرسالة من أعماق قلبي، لأبوح لكِ بكل ما يجول في خاطري، فأنتِ الوحيدة التي أستطيع أن أُصارحها بكل ما في داخلي دون خوف أو تردد.

أنا شخص بسيط، تسعدني الأمور الصغيرة في الحياة، خاصةً عندما أكون بقربكِ. فوجودكِ يملأ قلبي فرحًا وسعادة، ويُنير عتمة حياتي.

الجمعة:...

اليوم الثامن /
أكتب إليكِ لأقول لكِ كم أحبكِ،
حبٌ لا يُوصف بالكلمات، حبٌ يزداد يوماً بعد يوم،
حبٌ لا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونه.
وإنّي لأرجو من اللهِ أن يديمَ حبّنا وأن يجمعنا على خيرٍ.

السبت:

اليوم التاسع /

أَتَذْكُرِينَ لَحْظَةَ فِرَاقِنَا؟

مِنْ وَقْتِهَا وَأَنَا لَمْ أَعُدْ أَنَا، أَنَا تَائِهٌ وَوَحِيدٌ .

فَبَعْدَكِ غُرْبَةٌ وَجُودُكِ فَارِقٌ .

فَأَنْتِ كُلُّ الْوُجُودِ.

أَنْسَيْتِ مَنْ أَكُونُ؟

ذَاكَ الشَّابُ طَيِّبُ الْقَلْبِ أَصْبَحَ عَصَبِيًّا لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ

ابْتِسَامَاتِي لَمْ تَفَارِقْ وَجْهِي يَوْمًا مُنْذُ رَحِيلِكِ .

وَلَمْ تَشْقُّ وَجْهِي حَتَّى نِصْفُ بَسْمَةٍ تَهُونُ أَيَّامِي .

وَعَيْنِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الدَّمْعَ وَقْتًا .

الآنَ تَفِيضُ شَوْقًا فِي كَامِلِ الأَوْقَاتِ .

بِعَدْكِ تَغَيَّرَتْ حَيَاتِي وَانْقَلَبَتْ مُقَالِبُهَا.

فَأَصْبَحَتْ كَاللَّيْلِ بَعْدَ النَّهَارِ.

وَكَالْمَوْتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ .

وَكَالْجَحِيمِ بَعْدَ الْجَنَّةِ .

وَكُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا أَصْبَحَ عَلَيَّ ثَقِيلًا .

الأحد:...

اليوم العاشر /

ما زلتِ تتجاهلين رسائلي التي أكتبها بصدقٍ وحبٍ وفيّ.

هذه الرسائل التي تُعبّر عن عذابي وصراعي.

وآلامي ، حتى أنني أصبحتُ مثيراً للشفقة بسببها.

يا من تقرئين هذه الرسالة، إليكِ أول الأشياء التي لا أستطيع أن أعيش دونها: أنتِ.

الإثنين:...

اليوم الحادي عشر /

أهلاً....

أنا هنا و سأكتب إليك بكل ما هو قابع في قلبي

الآن أقف في شارع بجانب أحد الأشجار ،

الساعة تجوزت منتصف الليل و تعرفين كم أحب الليل أشعر إنكم متشابهان إلي حد كبير فكلاكما حبيبي..

في الثامنة مساء اليوم على مقعد في مكان ما كنت أجلس أنا و بعض المعارف ،

لا يهم من هم أو ماذا كنا نتحدث عنه،

لكن عندما ذكر أحدُهم اسمكِ في حديثه توقف الزمن من حولي ،

قلبي القابع في صدري ظل ينبض بشدة كأنه يحاول الخروج من صدري للبحث هناك في شتى بقاع الأرض ،

تلاشت جميع الأصوات و الضجيج من حولي و بقيت ذكره لكي في قلبي ،
كنتي برفقتي و بجانبي ، دعني أحدثك عنها من منظوري أنا....
ذاك البحر ، أتذكري جلوسكِ على المقعد أمامه ، تنظرين إلى أفقه اللانهائي بعيونٍ مشرقة وابتسامةٍ تغمركِ ، تشعُّ نوراً يستدعي الأمل والسعادة في حياتي.
أشتاق للحظة ألتقيكِ هناك، حيث يتصافى الجو و يتعانق الأمواج مع السماء.
كنت أراقبك بشغف مثلما أفعل دائماً. جئتُ وجلستُ بجانبكِ. لمستُ يدكِ وقبّلتُها، لم يكن ذلك إلا امتنان لنظرة عينيكِ وابتسامة فمكِ. ما أروع صنع الخالق لكِ يا كل الخلق بالنسبة لي.
وعلى ذاك الجدار الابيض،
أتذكري سيرنا بجواره و أتحدث في ما بيننا،

صوتك يتسلل صداهُ ببطء إلى أذنيّ ،كأنه يهمس بأسمكِ بشغفٍ وتلبد قلبي برقّة وبهجة ،
وفي كل خطوةٍ أخطوها في شوارع ذلك الحي القابع بجوار منزلنا،
يرافقني الشوق واللهفة، لإعادة تلك الأوقات ،
لا أستطيع التوقف عن أن أتخيلكِ تتجاوزين الناس وتأتين إلى جانبي بخطوات لطيفة لنتمشي سوياً مع كل غروب شمس.
و أخيراً فوقت من شرودى..
على أحدهم يلمس كتفي أين سرحت يا إلياس..؟
التفتُ إليهم شاحباً، مأخوذ الأنفاس، مدمع العينين.
اعتدلتُ في مقعدي، ثم هببتُ واقفاً،
وودّعتهم بحنان ،
قائلاً: "دمتم في رعاية الله".
تمشيتُ بجانب أشجار المنطقة، أعلم كم تحبين الأشجار، وعزمتُ على أن أراسلكِ في أقرب زمن لنعود كما كان.

وها أنا أكتب إليكِ عاشقاً، وسأختم كلامي داعياً أن نلتقي قريباً بإذن الله.

وداعاً....

الثلاثاء:...

اليوم الثاني عشر /
في غَيْبَتِكَ أَحْسُّ كَأَنَّ شَيْئًا ثَقِيلًا عَلَى صَدْرِي، لا طَاقَةَ لِي بِأَنْ أَتَنَفَّسَ.
حَذَارِي ،حَذَارِي إنْ تَبْتَعِدِي، فَإِنَّنِي أَخْتَنِقُ.

• بِرَوعَةٌ.

كَمَا يُحِبُّ زَوْجِي مُنَادَاتِي بِهَا ، إليكَ قارئُ الجميلِ سأتحدثُ أنا قليلاً.

سأدخلُ هكذا فجأةً، دونَ توقعٍ منكَ!!.

سأكتب عن نفسي، سأدخل فجأة إلى عالمكم

بلا مقدمات و بلا حواجز،

قد تعرفون اسمي فقط،

أما الأشياء الباقية فلا تدركوها،

سأروي حكايتي،

تعلمُ أنّها هدية ،لي، ولكنْ لا مشكلةَ في المشاركةِ في بعضِ المأساةِ معكَ لَعَلّكَ تَتَعَظُ قبل فواتِ الأوانِ.

لَعَلّكَ تَتَسَاءَلُ في نفسِكَ كيفَ تَجَاوَزْتُ موتَ أهلي،

وأصدقائي، وأقاربي، الخرابُ الذي عمّ في بلدي، بيتي،

وَأحلامي جميعها التي انتهتْ قبلَ أن تَشْرُقَ شمسُها.

أَحَالَ الأمَلَ إلى يأسٍ، الفرحَ إلى حُزن ، الحياةَ إلى موتٍ.

كُلّ شيءٍ تَغيّرَ، كُلّ شيءٍ انْدَثَرَ، لَمْ يَبْقَ إلّا الخرابُ.

فَهْوَ يَسْتَبِيحُ دَمَكَ، ويَسْتَبِيحُ مالكَ، ويَسْتَبِيحُ عِرْضَكَ.

فَهْوَ غَدّارٌ، وخائنٌ، وظالمٌ.

فحزني عظيمٌ، لا يُمكنُ لأحدٍ أنْ يفهمهُ أو يُقاسمهُ.

ولكنّني أعلمُ أنّ اللهَ تعالى هوَ خالقُ كلّ شيءٍ، وهوَ الذي يُقدرُ الآجالَ، ولا رادّ لقضاءِ اللهِ.

اعْلَمْ رَعاكَ اللهُ أنَّ النَّعيمَ لا يُدْرَكُ بالنَّعيمِ ،وأنَّ بِحَسبِ ركوبِ الأهوالِ، واحتمالِ المشاقِّ تكونُ الفرحةُ واللَّذةُ.

إنْ كنتَ منْ أهْلِ بلدٍ قدْ حلّ بهِ العدوّ، فأنتَ تنتظرُ الموتَ في كلّ حينٍ، وعلى أيّةِ حالٍ.

فَلا أَمْنَ لكَ، ولا سلامةً، ولا راحةً، ولا هناءً.

إلّا بِالخَلاءِ مَعَ اللهِ ، فَفِي الخَلاءِ، تَتَجَرّدُ مِنْ كُلّ ما يَشْغَلُكَ عنْ اللهِ تَعَالَى.

فَأَنْتَ تَنْسَى الدُّنْيا بِمَنْ فِيهَا.

وتَسْتَمِرُّ الحَيَاةُ بَيْنَ الحُرُوبِ والخَلَاءِ معَ اللهُ ، و الناسِ، وما أَعْظَمَ أَنَاسَ شَعْبِنَا.

وَلَعَجَبًا مِنَ الأَمْرِ أَنْ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ، ماذا يَشْتَهِيُ الْمَرْءُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟

إِلَى أنْ جَاءَ اليَوْمُ المَوْعُودُ الّذِي انْتَهَى فِيهِ كُلّ شَيْءٍ وَبَقِيَتْ أَنَا وَقَلْبِي وَذِكْرَى وَآلامِي.

يا أيها الإنسانُ،

هَلْ جَرّبْتَ شُعُورَ العَدَمِ؟

شُعُورَ أَنّكَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودًا، لَمْ تَوَلّدْ،

لَيْسَ زَوَالًا،

بَلْ شُعُورًا بِأَنّكَ لَمْ تَأْتِ إلى الدُّنْيا مِنْ أَسَاسِهِ؟

شُعُورٌ غَرِيبٌ، مُرِيبٌ،

كَأَنّكَ فِي قَرَارَةِ وَادٍ سَحِيقٍ،

لا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إلى قِمّةٍ عَالِيَةٍ.

لا وُجُودَ لَكَ، لا كَيَانَ، لا أَثَرَ،

كَأَنّكَ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا يَذْكُرُ.

هَلْ هَذَا الشُّعُورُ يُقْلِقُكَ، لَكِنّهُ يُرِيحُنِي،

يَهُونُ عَلَيّ عَقْلِي.

فكلّ امرئٍ يهونُ على نفسِهِ بطريقتهِ الخاصّة.

وَلاَ يَسْتَوِي النّاسُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

تَخَيّلْ مَعِيَ يا عَزيزِي القارِئُ، أَهْوَنُ عَلَى نَفْسِيَ الأمْرَ قَدْرَ الإمكانِ كَيْ أَدْرِكَهُ، أمّا القَلْبُ فلا يَفْهَمُ، لا يَفْهَمُ أَبَدًا.

فَإنّني عندما أتذكرُ أحبّتي، يملأُني الحنينُ إليهم، ويُصبحُ الحزنُ أثقلُ على احَسّاس يَخْنُقُنِي وَيَكَادُ يَقْتُلُنِي،

وَأكاد أَجْزَمُ أَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ تَحَمُّلَهُ ،

ويُصبحُ البكاءُ مُلازمًا لي.

فَأُدركُ أنّني لا أملكُ شيئًا، وأنّني عبدٌ للهِ تعالى، وأنّ اللهَ تعالى هوَ المُحيي والمميتُ،

وهوَ الذي يُقدرُ الآجالَ.

حينما حللتُ إلي بلادكم، لم أدرِ ما أسعى إليه، والحق يُقال،

لم أكن أُعيرُ لأمرٍ اهتمامًا.
فَجَلَسْتُ فِي أَوَّلِ مَقْعَدٍ قَابَلَنِي، وَقَابَلْتُ إِلْيَاسَ نُورَ عَيْنِي.
عندما رأيتُكَ اطمأنّ قلبي .
رجلٌ وديعٌ، رؤوفٌ، لم أُبْصِرْ له عيبًا قطّ ، يهتم بجميع أموري.
لا يَسْعِدُني في حياتي شيءٌ سوى كينونته الدائمة بجانبي.
أسعِدَني بِقَدْرِ شِقائي، كَأَنّني لَمْ أحزَنْ قَطّ .
أَهْلُهُ، طَيْبُ الدُّنْيَا اجْتَمَعَتْ بِهِمْ: أَبُوهُ، أُمُّهُ، أَخَوَاتُهُ، يَارَا، حَنَانٌ، رَوْضَةٌ، جَمِيعُهُنَّ حَنُونٌ.
إذا جلستُ معهم، شعرتُ بدفءٍ لا يُضاهى، وأحببتُهم حبًا لا ينضب، كما فعلتُ أنا، فهم عائلتي الثانية .
من أولَ ما حللتُ بِدارِكَ، لم أَكُنْ بِخيرٍ، فما جرى عليّ أثرَ على صحتي ونومي، لم يكن هيناً .
كنتُ أُراكم دائماً حولي ،تُعينونني، وتُهَوّنون عليّ قدر المستطاع، وتقفون بجانبي.
في فؤادي كنتُ في غاية الشكر لكم جميعاً ،فما بيننا من رابطةٍ قرابةٍ، ولا شيء يجمعنا سوى أنني بنت فقيرة لا تمتلك شيئاً.
تَتَابَعَتْ الأَيَّامُ حَتَّى أَتَى يَوْمٌ فَرَقَتْنَا ،صَرَاحَتُنَا،
لَمْ أَرْغَبْ فِي إِثْقَالِكَ بِهَمِّي، فَمَا فَعَلْتَهُ مِنْ أَجْلِي كَافٍ.

صَنَعْتَ لِيَ الْكَثِيرَ مِنْ الأُمُورِ الَّتِي لَمْ أَحْلُمْ بِهَا يَوْمًا، أَنْتَ إِنْسَانٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنَالَ كُلَّ الْخَيْرِ.

أَنْتَ تسْتَحِقُّ أَن يكون لك طفلاً فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، حُقٌّ لكَ أنْ تَعيشَ كُلَّ شيءٍ في أوانِهِ.

أَفْزَعَني أنْ عَلِمْتُ أنَّ لدي مشكلة في الإنجاب .

كُنتُ أَتَمَنَّى أنْ أَنْجِبَ أَوْلادًا كَثِيرِينَ،

ذُكُورًا أُسَمِّيهِمْ على اسمِ أبي وَأَخي،

وإِنَاثًا أُسَمِّيهِمْ على اسمِ أُمِّي وَأُختِي.

غَمَرَتْهُمْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى جَمِيعًا.

وَكُنتُ أَرْجُو مِنْ اللهِ أنْ يُحِسَّنَا بِالأُمُومَةِ في أقْرَبِ وقتٍ،

وَلَكِنَّ هذا قضاءُ اللهِ،

وَلَا ذَنْبَ لِإِلياسَ في ذلكَ.

عزمتُ على الهجرانِ، لكي يرى إلياسُ حياتهُ دوني.

أدركُ أنهُ أحبّ فتاةً قبل لقائنا، فتاةً ذات جمالٍ ورقةٍ.

قررتُ الرحيلَ، لكنّ قلبي لم يطاوعني على فراقكَ يا إلياسُ.

أودّ لو أستطيعُ أن أُنساكَ، لكنّ حبّكَ قد تمكّن منّي.

ولكنّ القدرَ شاءَ أن يأتي اليومُ الموعودُ، حيثُ استيقظتُ من صدمتي وبدأتُ أعيشُ حياتي من جديدٍ.

كنتُ نازلةً إلي شقةِ حماتي، فسمعتُها هي وابنتها يارا يتحدثانِ عن أمرِ زواجِ إلياسَ من امرأةٍ أخرى لتنجبَ

لهُ طفلًا.

لم أعرفْ ماذا أفعلُ؟؟

فلم أتمكنْ من اتخاذِ أيّ قرارٍ سوى الرحيلِ.

معهم الحقّ الكاملُ، فلا ألومُهم، لكنّ قلبي لن يتحمّلَ زواجهُ من امرأةٍ أخرى.

سأرحلُ لأجلِ سعادتهِ، سأرحلُ لأجلِ راحتهِ، سأرحلُ لأجلِ أن يُحقّقَ أحلامهُ.

خُطّتْ آخرُ كلماتي إليكَ، و رحلتُ.

ودّعتُكَ بِقلبٍ مُثقلٍ بالحزنِ، و بِروحٍ مُتعبةٍ من الألمِ.

رحلتُ و أنا لا أعلمُ متى سنلتقي مرةً أخرى، أو إن كنا سنلتقي أصلًا.

رحلتُ و أنا أحملُ في قلبي حبًّا لكَ لا يُوصفُ، و لا يُمكنُ نسيانهُ.

رحلتُ و أنا أعلمُ أنّكَ ستبقى في ذاكرتي إلى الأبدِ.

رحلتُ و أنا أدعو اللهَ أن يُحفظكَ و يرعاكَ.

خرجتُ من البيت، وخطوتُ بخطواتٍ ثقيلةٍ، كأنّ الأرضَ تُمسكُ بقدميّ.

كَانَ مَعِي حَقِيبَةٌ تَحْتَوِي عَلَى بَعْضِ الْمَلَابِسِ، وَمَبْلَغٍ مَالِيٍّ وَفِيرٍ، وَجِهَازِ حَاسِبٍ خَاصٍّ بِي، وَهَاتِفِي الْمُحْمُولُ كَانَ بِيَدِي.

أول وقتٍ كان هو أصعب وقتٍ على الإطلاق، شعورٌ لا يُطاق، شعورٌ كأنّه يَخنقُني، كلّ شيءٍ تلاشى من أمامي، وفقدتُ الوعيّ في وسطِ الشارعِ ،

فَوَقَعَ رَأْسِي عَلَى حَجَرٍ.

شعرتُ كأنّني أُسحبُ إلى عالمٍ آخرَ، عالمٍ من الظلامِ والوحدةِ، عالمٍ لا أرى فيه أحدًا، ولا أسمعُ فيه صوتًا.

كأنّني أموتُ، موتًا بطيئًا، موتًا مؤلمًا، موتًا لا يُمكنُني الهروبُ منهُ.

وعندَ إفَاقَتي من حالةِ الإغماءِ، وجدتُ كلّ ما حولي أبيضَ، إلى أن جاءتْ إحدى الممرضاتِ.

فسألتُها: "ماذا حدثَ؟"

فقالتْ: "لقد فقدتَ الوعيّ في وسطِ الشارعِ، فجاءت بكَ هذه المرأةُ إلى هنا."

و نادت على امرأةٍ تكبرني بحوالي ثلاثين عامًا.

فنظرتُ إلى تلكَ المرأةِ، فوجدتُها ذاتَ وجهٍ جميلٍ، وعيونٍ حانيةٍ.

فقلتُ لها: "تعالي أمي."

فاستغربت المرأةُ، ولكنّها جاءت و جلست بجانبي، فعنقتها عناقا حارًا.

فشدّت المرأة على حضني .

من ثمّ جاءت الطبيبةُ، المسؤولة عن حالتي فشخّصتْني بصدمة نفسية.

و أخذتْ الإبرةَ غرزتْها في ذراعي ،فشعرتُ ببعضِ الألمِ، و لكنّه ألمٌ خفيفٌ سرعان ما زالَ.

ثمّ غفوتُ في النومِ.

فنادتْ الطبيبةُ على المرأةِ، و قالتْ لها: "إنّ هذا الفتاة تعاني من داءٍ

عظيمٍ، يُسمّى "الشُّرودُ التفارقيّ"

."Dissociative fugue"

يُفقدُ فيه المرءُ إدراكه حول هويتهِ، وغيرها من المعلوماتِ الشخصيةِ المهمّةِ، وترتبطُ هذه الحالةُ بحالةٍ من الشرودِ أو الترحالِ غيرِ المخططِ لهِ ، قد يخرج الأشخاص بعيدًا عن المنزل، ويشكِّلون هويةً جديدة، ويبدأون وظيفة جديدة، دون إدراك لأيِّ تغيير في حياتهم.

فأصابتْ هذه الفتاةُ هذا الداءُ العظيمُ، فنسيتْ من هي، و من أين أتتْ، و ماذا تريدُ.

قالتْ المرأةُ: "يا إلهي!! .

لذلك نادتني بأمي ؟

قالتْ الطبيبةُ: "نعم ، إنّه داءٌ نادرٌ ،شكل من فقدان الذاكرة التفارُقي؛

يُصيبُ بعضَ الناسِ بسببِ صدمةٍ نفسيةٍ قويةٍ، أو بسببِ ضغطٍ نفسيٍّ شديدٍ.

قالتِ المرأةُ: "أشفقْتُ عليها، ماذا أفعلُ لِإعانةِ هذه الفتاةِ؟"

قالتِ الطبيبةُ: "أعلمُ أنّها لا تقربُ منكِ، إنْ أردتِ إعانتَها، فأهمّ شيءٍ هو أن تُوفّري لها بيئةً آمنةً و محبّةً، و أن تُساعديها على الشعورِ بالراحةِ و الأمانِ."

قَالَتِ الْمَرْأَةُ: "وَمَتَى تَعُودُ إِلَى حَالَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ؟"

قالتِ الطبيبةُ: "يستمرّ من ساعات إلى شهور، وأحيَانًا لفترة أطول ، إذا كان الشرودُ وجيزًا ،بعدَ انتهاء الشرود، يتذكَّر كثيرٌ من الأشخاص هويَّتهم وحياتهم الماضية إلى حين بدء الشرود ، ولكن، بالنسبة لآخرين، يستغرق التذكُّر وقتًا أطول، ويحدث بشكلٍ تدريجي ،وبعضُ الأشخاص لا يتذكَّرون أجزاء من ماضيهم؛ بينما لا تتذكَّر قلَّة قليلة من الأشخاص أيَّ شيء أو لا شيء تقريبًا عن ماضيهم بقية حياتهم".

قالتِ الْمَرْأَةُ: " شكرًا لكِ يا دكتورة على هذه المعلوماتِ القيّمةِ.

سأفعلُ كلّ ما في وسعي لمساعدةِ هذه الفتاةِ.

وغادرتْ الطبيبةُ الغرفةَ، تاركةً المرأةَ مع الفتاةِ.

"و لم أعلمْ هذا الكلامَ إلا بعدَ ذلكَ."

فَبَقِيْتُ مَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ فِي الْمَسْتَشْفَى لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ، إِلَى أَنْ تَحَسَّنَتْ حَالَتِي.

أَخَذَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْحَقِيبَةَ الْجَلْدِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ بِحَوْزَتِي حِينَ سَقَطْتُ، ثُمَّ وَجَدْتُهَا مَرَّةً أُخْرَى فِي غُرْفَتِي الْجَدِيدَةِ فِي بَيْتِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ.

وَأَمَّا الْهَاتِفُ فَقَدْ سَقَطَ مِنِّي بِجَانِبِ أَحَدِ الأَرْصِفَةِ، فَوَجَدَتْهُ إِحْدَى فَتَيَاتِ الْحَيِّ حِينَ كَانَتْ تَلْعَبُ، فَأَعْطَتْهُ لأُمِّهَا.

وَخَرَجْتُ مِنْ الْمَسْتَشْفَى مَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ، وَعُدْتُ إِلَى مَنْزِلِهَا.

وَكَانَ مَنْزِلُهَا مُتَوَاضِعًا، وَلكِنَّهُ كَانَ مُفْتَنَحًا بِالْحُبِّ وَالْحَنَانِ.

وَعَامَلَتْنِي تِلْكَ الْمَرْأَةُ كَأَنَّنِي ابْنَتَهَا، وَأَحَبَّتْنِي كَأَنَّنِي مِنْ عَرْقِهَا وَلَحْمِهَا.

كانَتْ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبناءٍ: بِنْتَانِ وَوَلَدٌ.

بِنْتٌ تَصْغُرُنِي بِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ، وَبِنْتٌ أَصْغَرُ مِنْهَا بِعَامَيْنِ فِي الثَّانَوِيَّةِ.

وَالْوَلَدُ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ.

تَوَفَّى زَوْجُهَا قَبْلَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ.

حَالَاتُهُمُ الْمَادِيَّةُ مُرْتَاحَةٌ نَوْعًا مَا، بَارَكَ اللَّهُ فِي مَا رَزَقَ.

كَانَ اسْمُهَا "سَمَاحٌ".

وَأَمَّا ابْنَتُهَا الْكَبِرَى فَكَانَ اسْمُهَا "دُنْيَا"،
وَأَمَّا الْوُسْطَى فَكَانَ اسْمُهَا "مَيَّادَةُ"،
وَأَمَّا الْوَلَدُ فَكَانَ اسْمُهُ "عَبْدُ الرَّحْمَنِ".
وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالْأَمَنِ وَالْأَمَانِ فِي مَنْزِلِهَا، وَكَأَنَّنِي فِي مَأْمَنٍ مِنْ كُلِّ مَخَاطِرِ الدُّنْيَا.

• مَيّ.

بدأتُ حياةً جديدةً بِاسمٍ جديدٍ "مَيّ"، وظيفةٍ جديدةٍ "مَدْرَسَةٌ بِإِحْدَى الْحَضَانَاتِ"

وحياةٍ جديدةٍ مَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْعَظِيمَةُ.

عشتُ معهم أجملَ أيامٍ، كنّا نستيقظُ فجرًا، ونصلي جماعةً، ونقرأُ الأذكار بصوتٍ جهوريّ، ونبدأُ في إعدادِ الطعامِ جميعًا بكلِّ حبٍّ، ونتناولُ الفطورَ، ونرتّبُ المنزلَ، كلُّ هذا ولم تدقَّ السابعةُ بعدُ.

أُنْزِلُ إِلَى الشَّارِعِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ وَالنِّصْفِ، وَأَمْشِي عَلَى قَدَمَيَّ شَارِعًا وَنِصْفًا لِرُكُوبِ الْحَافِلَةِ الَّتِي تُوَصِّلُنِي إِلَى مَكَانِ عَمَلِي.

كنتُ أعملُ في إحدى الحضاناتِ على بعدِ حوالي ثلثِ ساعةٍ مِنَ الْمَنْزِلِ بالحافلةِ،

كُنْتُ أُعَلِّمُهُمْ دُرُوسِهِمْ، وَ أضحكُ مَعَهُمْ،

كُنْتُ أُغَادِرُ الْحَضَانَةَ فِي السَّاعَةِ الوَاحدةَ بَعْدَ الظُّهْرِ.

وَأَرْجِعُ إِلَى الْمَنْزِلِ بِالْحَافِلَةِ.

وعندَ العودةِ أساعدُ أمّي في تجهيزِ الغداءِ والمذاكرةِ لأخي، وفي العصرِ أتفقدُ الحاسوبَ المحمولَ الخاصّ بي.

وَبَعْدَ أَذَنِ الْمَغْرِبِ، نُقِيمُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ نَبْدَأُ فِي إِعْدَادِ الْعِشَاءِ

وَنَتَنَاوَلُهُ فِي الشُّرْفَةِ الْوَاسِعَةِ الْخَاصَّةِ بِالْمَنْزِلِ.
وَتَنْشُرُ السَّمَاءُ جِلْبَابَهَا الْأَسْوَدَ المُرَصَّعَ بِالْأَنْجُمِ الْوَامِضَةِ، كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُزَيَّنَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ.
وَنَرَى الْقَمَرَ يَتَأَلَّقُ فِي السَّمَاءِ، كَأَنَّهُ مِصباحٌ مِنْ نُورٍ يُنِيرُ الدُّنْيَا.
ويُرفعُ أذانُ العشاءِ ونحنُ جلوسٌ سوياً، فَنَقُومُ لِلصَّلَاةِ وَنَنَامُ فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ .
وَلَقَدْ جَرَتْ الأَيَّامُ مُتَتَالِيَةً، رَوْتِينِيَّةً، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَايَةِ الرَّاحَةِ وَالْبَسَاطَةِ.
أَمْضَيْتُ مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ شَهْرًا وَنِصْفًا ،إِلَّا قَلِيلًا مِنْ الأَيَّامِ.
وَفِي خِلالِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ،
أَرَى مَشَاهِدَ فِي ذِهْنِي،
أَرَى أَشْخَاصًا وَوُجُوهًا مَأْلُوفَةً بِالنِّسْبَةِ لِي،
سَوَاءً بِاللَّيْلِ فِي أَحْلَامِي أَوْ بِالنَّهَارِ فِي يَقَظَتِي.
وَمَعَ مَرُورِ الْأَيَّامِ، غَلَبَنِي شُعُورُ الْغُرْبَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، رَغْمَ رَاحَتِهِ وَبَسَاطَتِهِ.
كَانَتْ تِلْكَ الْوُجُوهُ الْمَأْلُوفَةُ فِي أَحْلَامِي وَيَقَظَتِي تُذَكِّرُنِي بِحَيَاتِي السَّابِقَةِ عَلِمْتُ هذا فِي مَا بَعْدَ .
وَتُزِيدُ مِنْ شُعُورِي بِالْانْفِصَالِ عَنْ وَاقِعِي الْجَدِيدِ.

لا أَعْرِفُهُمْ وَلا أَلْتَقِي بِهِمْ فِي حَيَاتِي،
حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ وَصَادَفْتُ شَخْصًا فِي الْحَافِلَةِ مِنْ بَيْنِ
الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ أَرَاهُمْ فِي أَحْلَامِي،
كَانَ أَكْثَرَهُمْ أُلْفَةً لَدَيَّ.
شابٌ في ريعان شبابهِ
ليس بطويلٍ ولا قصيرٍ،
جسمه نحيفٌ يدلّ على قلة النوم والاهتمام بالطعامِ.
عيناه واسعتانِ، يملؤهما الحزن والأسى،
محاطتانِ بسواد كثيف من الهالاتِ السوداءِ التي تُبرز تعبه
النفسيّ،
لكنه وسيمٌ .
شعره طويلٌ، غير مهذب، أشعث يدلّ على إهماله لنفسه
وانشغاله بأفكارهِ.
إلاّ أنّني شعرتُ براحة نفسية عند حضورهِ.
لمحني وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فأخفيتُ نظري، ثم رفعتُ رأسي ثانيةً،
فإذا بنظراتِ الذهولِ في نظرتهِ، وَقَدْ أخذَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ ،
كَأَنَّهُ لا يَصْدُقُ مَا يَرَى ،
فَجاءَ وَوَقَفَ إلى جانبي وَقَالَ: "يا براءة!".
تَعَثَّرْتُ فِي الْكَلَامِ وَلَمْ أَعْرِفْ مَا أَقُولُ، إِلَى أَنْ
قُلْتُ :" مَنْ بَرَاءَةُ ؟".

وَتَرَكْتُهُ وَنَزَلْتُ فِي أَوَّلِ شَارِعِي، فَنَزَلَ خَلْفِي ،

قُلْتُ لَهُ: "مَاذَا تَرِيدُ مِنِّي ؟".

قَالَ: " مَا بِكِ يا حَبِيبَتِي انْسَيْتِ مَنْ أَنَا ! ؟".

أَنَا إِلْيَاسُ زَوْجُكِ.

وَلَمْحَتُ دَمْعَةً تَتَسَاقَطُ عَلَى وَجْنَتِهِ وَبِصَوْتٍ قَالَ مُتَأَلِّمٍ: "أَخِيرًا وَجَدْتُكِ!!".

أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا.

قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي لَسَهُ مُتَزَوِّجَةٌ وَلا أَعْرِفُهُ وَ تَرَكْتُهُ وَرَحَلْتُ.

تَوَقَّفَ إِلْيَاسُ لِحَظَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ:

"أَفَلا تَذْكُرِينَ أَيَّامَنَا؟ أَنَا إِلْيَاسُ حَبِيبُكِ، رَجَاءً عُودِي، الدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مِنْ دُونِكِ."

قُلْتُ لَهُ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ:

"أَنَا لَا أَذْكُرُ شَيْئًا مِمَّا قُلْتَهُ. أَنَا لَسْتُ بَرَاءَةً. أَنَا امْرَأَةٌ أُخْرَى".

نَظَرَ إِلَيَّ إِلْيَاسُ بِحُزْنٍ وَقَالَ:

"إِنَّكِ تَكْذِبِينَ عَلَيَّ. أَنَا أَعْرِفُكِ جَيِّدًا. أَنَا أَعْرِفُ عَيْنَيْكِ وَصَوْتَكِ. أَنَا أَعْرِفُكِ كَأَنَّكِ نَفْسِي."

شْعَرْتُ بِالخَوْفِ ،

لَمْ أَعْرِفْ مَا أَفْعَلُ.

لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُقْنِعُهُ بِأَنَّنِي لَسْتُ بَرَاءَةً ،

فَوَلَّيْتُهُ وَرَائِي وَجَرَيْتُ مُسْرِعَةً.

عَصفَتْ بِمَشَاعِرِي رِيَاحٌ عَاتِيَةٌ، وَحَرَّكَتْهَا مَشَاعِرُ مُخْتَلِطَةٌ بَيْنَ انتِمَاءٍ يَشُدُّنِي، وَخَوْفٍ يُعِيقُ خُطُوَاتِي.

وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ أَخْطُوهَا مُتَبَاعِدَةً عَنْهُ، أَتَذَكَّرُ وَأَتَذَكَّرُ كُلَّ شَيْءٍ جَمَعَنَا.

تَذَكَّرْتُ حَيَاتِي الْمَاضِيَةَ!!.

هَذِهِ أُمِّي كَانَتْ تَضْحَكُ مَعِي،

وَأَبِي يَحْتَضِنُنِي،

وَأَخِي يُوَصِّلُنِي بِدَرَّاجَتِهِ النَّارِيَّةِ إِلَى الْجَامِعَةِ،

وَأُخْتِي وَنَحْنُ نَتَمَشَّى سَوِيًّا.

أَهْلِي، مَوْطِنِي، وَهَذَا زَوْجِي إِلْيَاسُ انتشلني من قاع الدنيا.

وَتَذَكَّرْتُ إِلَى آخِرِ أَيَّامِنَا إِلَى أَنْ وَصَلْتُ لِآخِرِ لَحْظَةٍ قَبْلَ أَنْ أَفْقِدَ الْوَعْيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى.

إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى عَتَبَةِ مَنْزِلِي وَفُقِدَ الْوَعْيُ ثَانِيَةً.

عند إفاقتي،

نَظَرْتُ حَوْلِي، فَرَأَيْتُهُمْ جَمِيعًا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِعَيْنِ الْحُبِّ وَالْقَلَقِ.

هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ لِيَ أُمًّا وَالَّتِي حَازَتْ مَكَانًا كَبِيرًا فِي قَلْبِي .

هَؤُلَاءِ كَانُوا إِخْوَتِي، شَعَرْتُ مَعَهُمْ بِدِفْءٍ الَّذِي فَقَدْتُهُ مُبَكِّرًا.

"لَيْتَ إِلَّا وعيًا يَدُومُ طَوِيلاً".

شعرتُ بنخزةٍ في يدي، فرأيتُ كلونه، ومحلولًا مائيًا مُعلقًا.
إِلَى أَنْ عُدْتُ إِلَى حَالَتِي الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ الشُّرُودِ
التَّفَارُقِيِّ، فِي هَذَا النَّهَارِ،
طَمْأَنْتُهُمْ عَلَى نَفْسِي، وَشَكَرْتُهُمْ بِكُلِّ الْوُدِّ،
ثُمَّ خَلَدْتُ إِلَى نَوْمٍ طَوِيلٍ دَامَ نِصْفَ نَهَارٍ بِلَيْلَةٍ كَامِلَةٍ.
صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي،
الشمسُ تُشرقُ بِخُطُواتٍ خَجُولةٍ،
تَلْقَى دُمُوعَ عَيْنَيَّ الْمُنْهَمِرَةَ.
أُغادرُ غُرفَتِي،
أَستَشِقُّ هَوَاءَ الصَّبَاحِ الْأَخِيرَ في هذا البيتِ،
أَسْتَوْدِعُهُ ذِكْرَى كُلِّ لَيْلَةٍ هَدِئَةٍ ،
وذِكْرَى كُلِّ صَبَاحٍ مُشْرِقٍ.
أَتَوَقَّفُ عِنْدَ نَافِذَةِ الْمَطْبَخِ،
أَرْقُبُ شَجَرَةَ الْيَاسْمِينِ الَّتِي أَسْقِيهَا كُلَّ صَبَاحٍ بِيَدَيَّ،
أَسْتَوْدِعُهَا عِطْرَ ذِكْرَيَاتِي.
وَدَّعْتُ كُلَّ مَا حَوْلِي،
أَوَّلًا أُمِّي بِفِعْلِ هِيَ أُمِّي الثَّانِيَةُ،
وَأَخَوَاتِي الَّتِي يَجْمَعُنَا كُلُّ الْخَيْرِ وَلَا يَجْمَعُنَا الدَّمُ،
أَتَحَرَّكُ بِخُطُواتٍ ثقيلةٍ،
أَتَجَاوَزُ كُلَّ رُكْنٍ قَضَيْتُهُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ،

أَسْتَحْضِرُ ذِكْرَى كُلِّ ضَحِكَةٍ وَدَمْعَةٍ.
أَسِيرُ فِي الشَّارِعِ، أَرْقُبُ الْوُجُوهَ الْمُتَعَجِّلَةَ، أَبْحَثُ عَنْ وَجْهٍ مألوفٍ، لَكِنْ لا أَجِدُهُ .
أَرْكَبُ الْحَافِلَةَ، أَنْظُرُ مِنْ النَّافِذَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَغَيِّرَةِ،
أَبْحَثُ عَنْ شَخْصٍ مألوفٍ،
لَكِنْ لا أَجِدُهُ.
أَصِلُ إِلَى الْحَضَانَةِ،
أَرْقُبُ أَطْفَالًا يَلْعَبُونَ بِبَرَاءَةٍ،
أَسْتَحْضِرُ ضَحَكَاتِهِمْ وَصَرَاخَاتِهِمْ.
أَقْتَرِبُ مِنْهُمْ، أُحَاوِلُ الْبِسْمَةَ، لَكِنْ تَخْتَنِقُ فِي حَلْقِي.
أُودِّعُهُمْ بِقَلْبٍ مَلْؤُهُ الْحُزْنُ،
جَمِيعَ الْأَطْفَالِ طِفْلًا، طِفْلًا،
كُلَّ شَيْءٍ، كُلَّ شَيْءٍ.
حِينَ وَدَّعْتُهُمْ، كَأَنِّي وَدَّعْتُ جُزْءًا مِنْ قَلْبِي،
أَحَبُّونِي فَأَحْبَبْتُهُمْ،
ارْتَاحُوا بِقُرْبِي كَمَا ارْتَحْتُ بِقُرْبِهِمْ،
اسْتَأْنَسُوا بِي كَمَا اسْتَأْنَسْتُ بِهِمْ.
أُغَمِضُ عَيْنَيَّ،
أَسْتَحْضِرُ ذِكْرَى كُلِّ مَكَانٍ مَرَرْتُ بِهِ،
أَسْتَوْدِعُهُ حُبِّي وَوَدِّي.

حجزتُ غرفةً في فندقٍ هَيِّنٍ آمِنٍ،
وانعزلتُ عن الدّنيا وَأهلها أجمعين.
تَفَقّدتُ هاتفي الجَوّالَ فلم أجدهُ،
وَتَذَكّرتُ أنّهُ سَقَطَ منّي في الشّارعِ عندما غَشِيَ عليّ.
أردتُ أن أُحدّثَ إلياسَ، قَلبي مُقبوضٌ،
أشعرُ أنّ هناكَ شيئًا أصابَ إلياسَ حبيبي.
أمسِ عندما قبلتُهُ كانَ شاحِبًا وحزينًا،
وَعَجِبْتُ كلّ العجبِ أنّهُ لم يَأتِ خلفي.
تفقدتُ حقيبتي فوجدتُ المبلغَ كاملًا الذي وضعتهُ وأنا تاركةُ البيتَ.
نزلتُ من الفندقِ بعد يومينِ من العزلةِ، واشتريتُ هاتفًا وخطًا جديدًا.
وأثناء عودتي، تمشيتُ قليلاً،
ثم رجعتُ إلى الفندقِ بعد ساعتينِ من السيرِ.
فتحتُ البابَ الغُرْفَةُ،
وطَلَبْتُ كوبًا من الشايِ،
وجلستُ في الشرفةِ على مقعدٍ مقابلٍ للسورِ.
فتحتُ الهاتفَ وقمتُ بتشغيلِهِ وضبطِهِ للعملِ،
وكتبتُ رقمَ إلياسَ الذي أحفظُهُ عن ظهرِ قلبٍ، وقمتُ بمُحادثتِهِ على الواتس آبِ.

رسالتُكَ،
ردّت حنانُ، أختُكَ، على رسالتي،
وعلِمتُ منها أنَّكَ مريضٌ في المستشفى منذ يومينِ.
غبتُ أنا وأنتَ عن الدنيا في نفس التوقيتِ،
وإن اختلف المكانُ،
كأنّ القدر شاء أن يجمعنا في غيابنا كما جمعنا في حضورنا.
أنتَ في منتصفِ الشارعِ، لا تُعير نفسكَ اهتمامًا،
تذوبُ حزنًا على فراقٍ فجائيّ،
بينما أنا على عتبةِ منزلي.
كم بكيتُ عليكَ، يا حبيبي،
من شدّةِ شوقي إليكَ، ومن غصّةِ فراقٍ لم أكنْ أُريدُهُ.
بكيتُ على نقاءِ قلبكَ، وعلى وفائكَ الذي لا مثيل له.
وعلى الرغم من بعدي عنكَ،
إلاّ أنّك ما زلتُ تنتظرني،
علمتُ مكانَ المستشفى الذي ترقدُ فيهِ،
وعرفتُ رقمَ غرفتكَ، وكلّ ما يتعلقُ بكَ.
وجئتُ إليكَ بسُرعةٍ ،
كأنّ الريحَ تُحملني.
كانتِ الساعةُ تشيرُ إلى السادسةِ مساءً، بعدَ أذانِ المغربِ بدقائقَ ،

لم يكنْ أحدٌ موجودًا بالممرِّ،
ازدادتْ دقاتُ قلبي مع كلِّ خطوةٍ أخطوها،
فَتَحْتُ الْبَابَ ولم أجدْ أحدًا في الغرفةِ.
أَقْبَلْتُ بِتَجَاهِكِ لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ، كَأَنِّي فِي عَالَمٍ آخَرَ،
عندما رأيتُكَ، لم أستطعْ تمالكَ نفسي، فانهارَ جسدُي على طرفِ السريرِ، وانهلتُ بالبكاءِ بحرقةٍ،
كَأنّما الدّنيا تَوَقّفَتْ عَنْ الدّورانِ،
وَلَمْ يَبْقَ فِي الْوُجودِ سِوَانا.
فوضعتُ يدي على يدهِ، ورفعتها إلى مستوى فمي،
وقبلتها قبلةً حانيةً، تُعبّر عن عمقِ حبيّ ،
أَسَفِي الشّديدِ لِمَا قَدْ تَسَبّبْتُ فِيهِ مِنْ أَذًى.
تحسستُ وجهَكَ، فشعرتُ بِخَشونةِ بشرتهِ،
وعلاماتِ التعبِ والإرهاقِ الشديدِ التي تغطّيهِ.
عرفتُ أنّكَ قد مررتَ بِكثيرٍ من الأحداثِ الصعبةِ،
أغمضتُ عينيّ،
وتنفّستُ بِعمقٍ،
اقتربتُ منكَ أكثرَ، ووضعتُ رأسي على صدرِكِ،
فشعرتُ بدفءِ جسدِك،
شعرتُ كأنّني في مأمنٍ من كلِّ ما في العالمِ،
وكأنّني أستطيعُ أن أواجهَ أيّ شيءٍ بِوجودِكَ إلى جانبي.

وعيتُ أخيرًا إلى ما حولي فنهضتُ سريعًا، فقبلتُ على جبينهُ ابتعدتُ عنكَ بخطواتٍ متعثرةٍ، ودموعُ الحزنِ تُغرقُ عينيّ ورحلتُ قبل أن يراني أحدٌ.

خرجتُ من المستشفى وأنا في حالة يرثى لها، علي حالك يا كل حالي.

بدأتُ أُمشي في الشوارعِ دونَ هدفٍ،

توقفتُ عندَ أحدِ المقاعدِ، وجلستُ أتأملُ المارةَ.

كانوا جميعًا مُنشغلينَ بحياتهمْ، وكأنّ شيئًا لم يحدثْ.

أمّا أنا، فشعرتُ كأنّ العالمَ قد انتهى.

عدتُ إلى الفندق ونمتُ حتى اليوم التالي.

استيقظتُ من نومي وأنا أشعرُ بثقلٍ في قلبي.

عدتُ إلى المستشفى وسألتُ عن إلياس،

فعلمتُ أنه قد خرج منذ ساعة.

طمأنتني الدكتورة على حالته.

حمدت الله سراً وعدت مرة أخرى إلى الفندق فنمت نوماً طويلاً.

المرء منا ضعيف و أنا أوجه ضعفي بنومي و إن انعزال عن العالم.

مرتْ الأيامُ، وأنتَ في بالي دائمًا،

كأنّكَ شمسٌ لا تغيبُ.

في يومٍ من الأيامِ، خرجتُ من عزلتي، فإذا بي أُقابلكَ يا كلّ الناسِ.

فأحسستُ كأن روحي قد عادت إليّ،

كأنّها من غياهبِ الموتِ قد فُكّتْ قيودُها،

كأنّها من سجنِ الظلامِ قد أُطلِقَ سراحُها،

كأنّها من براثنِ اليأسِ قد انْفَلَتَتْ أَسْرُها.

كأنّها قد عادتْ إلى جسدِها،

كأنّها قد عادتْ إلى مُنْزِلِها،

كأنّها قد عادتْ إلى مُسْتَقَرّها،

كأنّها قد عادتْ إلى مَأْوًى هناءِها .

كَأَنَّنِي عُدْتُ إِلَى مَأْوَى دَافِئٍ بَعْدَ رَحْلَةٍ شَاقَّةٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

• مَكَانُـها.

في الناحيةِ الأخرى عندَ إلياسَ ،
سأتحدثُ من جديدٍ حينَ رسالتِها لمْ ترِدْ إلا على آخرِ رسالةٍ!!.
أنّها كانتْ تَرَى رسائلي ،
ولكنّها لمْ تَرُدّ إلا على آخرِ رسالةٍ.
وصدمني ردُّها.
لم تكن هي من ردّ، بل كانت امرأة أخرى غيرُها،
أخبرتني بأن ابنتها لَقَتْ هذا الهاتف من عدّة أيام ولمْ تُعْطِهِ لها إلا اليوم.
وَطلبتْ منّي أنْ أقابِلها لِتُعْطِيني الهاتف،
فَقابلْتها و أخذتُ منها الهاتف،
وَشَكَرْتها بِوُدٍّ صادقٍ،
وَرحلْتُ.
يا ترى أينَ هي الآنَ؟
وَمعَ منْ؟
وَماذا تفعلُ؟
كلُّ هذا وَ أكثر في ذهني
وَأفكارٌ سوداءُ تقلقُني حدًّا كبيرًا.

تجعلُني أنتفضُ من الخوفِ،
فهي نفسي،
وَها أنا أبحثُ عنها،
في كلّ مكانٍ،
في كلّ زاويةٍ،
في كلّ شارعٍ،
أبحثُ عن عينيها،
عن صوتها،
عن ابتسامتها،
أبحثُ عن نفسي،
وَأَعْلَمُ أنّني سأجدُها،
سَأُعِيدُها إلى حيثُ تنتمي،
إلى حيثُ أنا.
فأهملتُ نفسي، و أهملتُ شؤونَ حياتي، و لم يبقَ لي إلاّ أنتِ
فأهملتُ نفسي،
و أهملتُ شؤونَ حياتي،
و لم يبقَ لي إلاّ أنتِ و أنا و ذكرى حبّنا.
إلي إن لقيتُكِ ولم تعرفيني،
كأنّ لحظةَ موتي قد حانتْ.
وقفتُ أمامكِ حائرًا تائهًا،

كأنّني طيفٌ ضائعٌ في صحراءٍ.
عيونُكِ لم تُبصرْني،
كأنّني لستُ موجودًا.
وقلبُكِ لم يشعرْ بي،
كأنّني لستُ حبيبًا.
فغبت عن الدنيا وحيداً،
كأنّني لم أُوجدْ يومًا.
روحي تائهةٌ في عتمةٍ لا قرار لها،
وقلبي مُثقلٌ بحزنٍ لا يُطاق.
عندما جئتِ إليّ في المستشفى وأنا مريض،
شعرتُ ببكائكِ وكان قلبي معكِ، حتى وإن كان عقلي غائبًا عن الوعي.
في تلك اللحظات، عرفتُ أنّ حبّكِ لي مازال حيًّا،
وأنّ مشاعركِ لم تتلاشى مع مرور الوقت.
لكنّني شعرتُ أيضًا بالألمِ والحزنِ،
لأنّني لم أكن قادرًا على التعبيرِ عن حبّي لكِ.
لم أستطعْ أن أُمسكَ يدكِ،
أو أن أُقبّلَ جبينكِ،
أو أن أقولَ لكِ كم أحبّكِ.
شعرتُ بالعجزِ واليأسِ،

إلي إن عدت إلى حياتي الطبيعية.
لقد دلّتني مصادري الخاصة على مكان تواجدها ، حيث كانت تقيمُ في أحدِ الفنادقِ.
شعرتُ بِفرحةٍ عارمةٍ تغمرُ قلبي، فقد حانَ وقتُ لقائها بعدَ طولِ انتظارٍ.
لم أصدقْ نفسي عندما علمتُ أنّني سأراها أخيرًا.
لقد اشتقتُ إليها اشتياقًا لا يُوصفُ ،
فكلّ يومٍ كانَ يمرُّ عليّ ، كأنّهُ عامٌ كاملٌ.
تحزّمتُ بسرعةٍ، وخرجتُ من منزلي،
متوجهًا نحوَ الفندقِ.
كانَ قلبي يُخفقُ بشدّةٍ ، فقد شعرتُ بِمزيجٍ من الخوفِ والفرحِ.
وصلتُ إلى ذاك الفندقِ، ورأيتها من بعيدٍ، تسيرُ بمفردِها بهدوءٍ تامٍّ.
عندما رأيتها، توقف الزمنُ من حولي، وكأنّ كلّ شيءٍ قد تجمّدَ في مكانهِ.
لم أعدْ أرى شيئًا سوى صورتها ،
لم أسمعْ شيئًا سوى صوتِ قلبي الذي ظلّ ينبضُ بشدّةٍ في صدري.
شعرتُ كأنّني أُسحَبُ نحوَها بِقوةٍ لا تُقاوم، وكأنّني أُحلّقُ

في السماءِ.
لم أعدْ أشعرُ بِجسدي، لم أعدْ أشعرُ بِالدنيا، لم أعدْ أشعرُ بِأيّ شيءٍ سوى حبّها.
سرتُ خلفَها ، حتى انعطفت يميناً و مشيت متجه نحو البحر ، وصلَتْ إلى البحرِ أخيراً وجلستْ على أحدِ المقاعدِ أمامهِ.
فلما دنَتْ من البحرِ، سَكَنَتْ أمواجُهُ، وهدَأَتْ رياحُهُ وكأنّهُ ينتظرُها، وكأنّهُ يُشاركُنا مشاعرَنا كأنّهُ يفهمُ ما نمرّ بهِ.
وقفتُ خلفها على بعد مترين أتأملُها وأسترجعُ ذكرياتِنا الجميلة .
فوجدتُ أنني لا أستطيعُ العيشَ بدونها.
لقد سحرت عينيّ بجمالها، وطرِبَ قلبي من حبّها، وذابَتْ روحي من شوقِها. فلم أعد أرى ولا أسمع ولا أشعر إلا بوجودها.
عندما أحب، لا أريد أن أبتعد
فالبعدُ عنكِ موتٌ وأنت حي
و ما أسوأ هذا الشعور.

• عَوْدَة.

كانتْ هناكَ تجلسُ على مقعدٍ أمامَ البحرِ، تطلعُ إلى أفقهِ اللامتناهي ، هادئةً كأنّها لوحةٌ فنيةٌ رسمها فنانٌ مُبدع.

اقتربتُ منها بخطواتٍ خفيفةٍ ، وجلستُ بجانبِها ، أُريدُ أن أُشاركَها همّها، أُريدُ أن أُخفّفَ من ألمها.

ذادتْ نبضاتُ قلبي حتى كادتْ أنْ تُمزّقَ صدري. سألتُها بصوتٍ متهدّجٍ:

أخيرًا وجدتكِ!!

لِما البُعدُ؟ بعدُكِ عني يعني موتي، أتردّينَ لي إن أحيا جسدٍ بلا روح؟

نظرتْ إليّ بعينينِ دامعتينِ، وقالتْ:

أعلمُ أنّكَ تحبّني، وأنا أحبّكَ أيضًا، لكنّ هذا لا يكفي.

مسحتُ دموعَها بيديّ، وقلتُ لها:

لكنّه كافي بالنسبة لي بحثتُ عنكي كثيراً، لن أتركِكِ ترحلين مجدداً، رجاءً كفي عنْ تعذيبي ، منذ رحيلك و أنا أعاني، ألا ترينَ ما أصبحتُ عليه؟.

سكتتْ للحظاتٍ، ثمّ قالتْ بنبرةٍ حزينةٍ:

أنا لا أستطيعُ أنْ أُنجبَ لكَ طفلًا يحملُ اسمك، كنتُ أتمنى أنْ يكون لنا أطفالٌ يكونُون لنا سندًا عندَ الكبر.

أجبتُها بقلبٍ مُتَفَهّمٍ:

هذا قضاءُ اللهِ وقدرُهُ، وأنا راضٍ كلّ الرضا، أدرك الأمر تماماً.

أومأتْ برأسها، وقالتْ:

أعلمُ يا حبيبي، لكنّه حلمٌ لطالما راودني ،

كنتُ أتمنّى أنْ أُنجبَ لكَ أطفالاً،

يُشبهونكَ في طيبةِ قلبكَ وكرمِ أخلاقكَ يساعدون من يحتاج و يساندون من يريد.

قلتُ لها:

مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ،

أعلمُ أنّكِ حزينةٌ، لكنّ اللهَ كريمٌ ،

سيرزقنا من فضلهِ إنْ شاءَ اللهُ.

جلسنا صامتينِ لِحظاتٍ،

ونحنُ نُحدّقُ في البحرِ الهائجِ.

وفجأةً، شعرتُ بيدٍ حنونةٍ تُمسكُ بيدي،

ونظرتُ إليها فوجدتُ عينيها تملؤهما الدموعُ.

قالتْ لي بصوتٍ مُتَقطّعٍ:

أُحبّكَ يا حبيبي، ولنْ أستطيعَ أنْ أعيشَ بدونكَ.

ضممتُها إلى صدري، وقلتُ لها بصوتٍ هادئٍ:

لا تقلقي يا حبيبتي،

سنَتَجاوزُ هذهِ المحنةَ معاً بِعَوْنِ اللَّهِ .

فَمَسَّتْ وَجْهِي بِيَدِهَا وَتَحَسَّسَتْ قِسْمَاتِه وَقَالَتْ:

وَأَنْتَ؟

مَنْ يُشَارِكُكَ حُزْنَكَ؟!

تَتَفَقَّدُ جَمِيعَ أُمُورِي وَتَنْسَى حَالَكَ!!.

هَذَا لَيْسَ بِعَدْلٍ.

فَشَعَرْتُ بِرَاحَةٍ تَسْرِي فِي جَسَدِي، فَقَالَتْ بِحُبٍّ:

أَهْتَمُّ بِكَ لِأَنَّهُ وَاجِبِي،

وَأَضَعُ نَفْسِي مَكَانَكَ،

وَأَلْتَمِسُ إِلَيْكَ أَلْفَ عُذْرٍ .

قالت: رَجَاءً أرْضَى عَنِّي،

لا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ سَبَبًا فِي حُزْنِكَ .

فقلتُ لها:

إِنْ تَرْضَي عَنِّي فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْكِ.

كَيْفَ لِي أَنْ أَحْزَنَ مِنْكِ؟

طَالَ عُمْرِي وَحِيدًا، لا أَنْسَ وَحْشَتِي

وَكُلُّ أَيَّامِي كَانَتْ مَعْ هَذِي الْعَظْمَةِ

فَلَمَّا جِئْتِ، جَاءَتْ مَعَكِ الدُّنْيَا

وَأَضَاءَتْ شَمْسِي، وَأَزْهَرَتْ رَبِيْعِي

كُنْتُ كَالْعُودِ الْيَابِسِ، فَأَحْيَيْتِنِي

وَكُنْتُ كَالْأَرْضِ الْعَاقِرِ، فَأَنْبَتِّنِي.

عدنا من جديد،
ها هي حاملاً في شهرها الثاني،
و حياتنا سعيدة بفضل الله،
نمشي حالياً في الشارع قبل أذان المغرب بقليل،
السماء صافية و الهواء جميل،
الشمس تغربُ في الأفقِ،
و تُلقي بِظلالِها على الأرضِ،
و العصافيرُ تُغنّي في أعشاشِها،
و الأطفالُ يلعبون في الشارعِ،
و الناسُ يمشون في حديقةِ الحيّ،
و كلّ شيءٍ في هذا العالمِ يبدو جميلًا،
و يشعُرُ الإنسانُ بالسعادةِ و الراحةِ،
و يُريدُ أن يبقى في هذه اللحظةِ إلى الأبدِ،
و في أذنها سماعة الأذن،
تستمع إلى صوتٌ كَالنّسيمِ العليلِ يَهبُّ على الرّوحِ،
يُنعشُها ويُزيلُ عنها همومَ الدّنيا وضِيقَها،
عجباً لمنْ قالَ لا راحةَ في الدّنيا،
وَمَنْ سمعَ صوتَ الشّيخِ العظيمِ تَملّكَهُ السّكَانُ والهدوءُ،
كلّ ما يأتي منَ القلبِ المُخلصِ يُؤثّرُ،
والدّموعُ التي تَنزِلُ منَ العينِ الباكيةِ تُطهّرُ الذّنوبَ

في حضرةِ العفاسي تَرتاحُ الأنفسُ منْ همومِ الدّنيا
وتَتسامى الأرواحُ وتُحلّقُ في السّماواتِ العُلى.
يدها تمسك بيدي،
نسيرُ معًا في رحلةِ الحياةِ،
نتشاركُ مشاعرَ الفرحِ والحزنِ،
ونتكاتفُ في مواجهةِ الصعابِ،
نُحِبُّ بعضنا البعضَ بصدقٍ وإخلاصٍ،
ونُقدّرُ نعمَ اللهِ التي أنعمَ بها علينا،
نسألُ اللهَ أن يُباركَ لنا في حياتِنا،
وأن يُتمّ نعمتَهُ علينا،
وأن يرزقَنا الذريةَ الصالحةَ.

• حَيَاةٌ.

مر عامٌين بجميع الأعوامِ الماضية تغيرت الحياة، أصبحت أكثر إشراقه ، على غير ميعاد تأخذنا الحياة لدنيا آخر جديدة.

مر عامٌين حلت فيه السعادة و البركة في بيتنا .

ربّما يا "فلسطينيتي" لم يكتب الله لكِ العيش مع عائلتك ، جيرانكِ ، موطنكِ ، شعبكِ ، أحلامكِ ، و ما ادراك كل هذا وأكثر قدت فارقتيه ، أعلم إنه لم يكن هيننا أبدا عليكِ ، لكنه قضاء الله وقدره ،

نُعلم أنّكِ صابرةٌ محتسبة، وأنّكِ لم تفقدي الأمل يومًا. نُؤمن أنّ الله تعالى سيُنصرُكِم عاجلًا أم آجلًا، وأنّكِ ستعودين إلى ديارِكِ حُرةً أبيّة مرة أخري وَأنا معكِ لإعادتكِ إلي موطنكِ الحبيب كما وعدتكِ لتحقيق حلم ابيكِ ، سنُعيدُ بناءَ بيوتِكِ المُهدّمةِ ، ونُزرعُ حقولَكِ اليابسةَ ، ونُعيدُ الحياةَ إلى شوارعِكِ الخاليةِ ، نصره قريباً بإذن الله لا محال.

أول أيامنا ...

لم أكن أعلمُ أنّني سأحبّكِ هكذا!!

كلّ لحظةٍ تمرّ وأنتِ أمامي بوجهكِ الطّيّب، ونظراتكِ الحنونة، وصوتكِ الدّافئ، وخلقكِ الجميل، وصمودكِ العظيم، وقوّتكِ التي فاقت الحدود، وصبركِ، وحيائكِ

الرّقيق، والطّمأنينة التي تغمرني عند حضوركِ.

أحببتكِ كما لم أحبّ من قبل، ولن أتوقفّ عن حبّكِ أبداً.

"امْرأة وجهُها يَستحقُ أن يكون بوصلةً لكُلّ ضائِع ."

مساء الخير عزيزتي،

غدًا هو موعد قراءتك لكلماتي البسيطة. أكتبها الآن وأنا في غاية الرضا بكل ما أصبحت عليه حياتي.

أعلم أنها مجرد كلمات، ولكنها تحمل معانٍ عميقة وحبًا صادقًا. وَلِتَوَاجُدِكَ الدَّائِمِ إِلَى جَانِبِي.

أجلس كُل ليله أكتبُ إليكِ، إليكِ يا حبيبتي العزيزة، إليكِ وحدكِ يا من عرفتُ طَعمًا للحياة معها، منذ أن رأيتك سكنتي قلبي، تبتسمين فَتبتسم الحياة لي، تحزنين فَيسود الظلام من حولي، أكتبُ إليكِ بكُل حُب، رُبما خُلقت كلمات الحُب لكِ وحدكْ، برفقة حمامة صغيرة بيضاء، مِثل قلبكْ الصغير الذي أقبع بداخله لأبد الدهرِ،

أكتب لكِ رسائلي، اجلس اتخيلك وأنتِ تبتسمين لشدة الفرحة، فأبتسم علي إبتسامتك التي تخيلتها تلك، رُبما

هذا هو العشق الذي طالما أخبرتني أمي عنه في الصِغر، حبيبتي أعدك بأن أبقي لكِ خير السند والعون، سأبقي معكِ حتي نسكن السماء سويًا.

تَزَهَّوْا عَيْنَايَ بَبْرِيقِ أُخَّاذٍ وَمُتَلَأْلَّئ
عِنْدَمَا تَدَنُّوا مَلَامحِكَ مِنْ مَرَّمَى فُؤَادِي

خِفْقَات قَلبِي الـنَابِضَةُ فِي تَزَايُد
حِيـنَمَا تَسْمَعُ أُذْنِي صَوْتَكَ فِي الْأَنْحَائي

فِي عُمْقِ عَيْنَيْكِ أَرى هِبَةَ الْحَيَاةِ
وَفِي رُؤْيَاكِ أَحْلُمُ بِمُستَقْبَلٍ زاهِرٍ وَآتٍ

ولِكَي كُلَّ مَفْرَدَاتِ حُروفِ الْغَزَالِ
يَا فُلْسطِينَتِي يَا كُلَّ حَيَاتِي .

عزيزتي براءة.....

"لم أرَ أجمل من روايتي لقد قررتُ أَنْ تكونَ هديةً لك بمُناسبة ذِكرى لَقِانَا. فأنتَ تَستحِقُينَ هذه الرواية المميزة التي صوَّرت منْ مَحَضِ كلماتٍ وأفكارٍ، تُمامًا كما يدورُ العالمُ حولَ الشمس، يَدورُ هذا النصُ حول قصتنا الفريدة ولقائِنَا الذي كانَ سِحرًا واستثنائيًّا في حد ذَاته.

في هذه الرواية، ستَتَجَوَّلُ بينَ أَفْقِ الشعورِ واحتكاكِ الأَحاسيسِ، حيثُ تَتَقاطَعُ اللقاءاتُ. سَتَجِدُ فيها جمالًا وعُمقًا، فلقد سَطَعَ نُجومُ الكلماتِ في كتابتِها.

****

آملُ أَنْ تَعُجبَكَ هذه الرواية وتَجتازَ رحلةَ القراءةِ بَخِيالكَ ، واثقٌ تمامًا أَنَّها سَتَتَرُكُ لكَ أَثَرًا خاصًّا في ذاكِرَتِكَ، تَذَكُرُنا وقصتِنَا الرائعة التي لا يُمكِنُنَا أَنْ نَنْسَها أَبَدًا."

• إلْياسَ.

عزيزي إلياس ، ربما لستُ ماهرةً في الكتابة مثلك، ولكن كل ما أكتبه ينبع من أعماق قلبي ، منحتني العطف كأمي، والحنان كأبي، والمواساة كأختي، و السند كأخي ، الصديق الذي يضحك معي في أوقات الفرح، ويبكي معي في أوقات الحزن ، أنت لين كل ما حولي ، وطني الحبيب أنت يا إلياس ،

رأيت في عينيك بريقًا يضيء سماء حياتي كالنجوم الساطعة في الليل ، تمنحني الأمل والعزم، وتنير عتمة اليوم بنور عطفك الدافئ وحنانك الأبوي الذي لا يعوّض ، كل حرف يمضي هنا، يخلق روحًا جديدة في داخلي،

ويضفي لمسة من الدفء والجمال على حياتي. أصبح لديك قوة لإعادة تشكيل العالم حولي وجعله أكثر جمالًا وفرحًا.

كلماتكِ تُلامسُ قلبي وتُدفئُ روحي. لا أستطيعُ وصف شعوري عندما قرأتُ ما كتبتِهِ. أشعرُ كأنّني أملكُ الدنيا وما فيها، وكأنّ كلّ شيءٍ في هذا العالمِ أصبحَ جميلًا بوجودكِ.

إلياس ،لا يسعني سوى القول إن عالمي لا يكتمل بدون وجودك وعطفك اللامتناهي ، أحبّكِ يا إلياس، حبًا لا يوصفُهُ لسانٌ، ولا يُعبّرُ عنهُ قلمٌ. أنتِ أجملُ ما حدثَ لي في هذه

الحياةِ، وسأظلُّ أُحبّكِ حتى يُغمضَ عينيّ ، أشكر الخالق على وجودك.

"فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَرَاكَ أُشْعِرُ أَنَّ

الدُّنْيَا كَانَتْ وَكُنْتَ أَجْمَلَ مَا فِيهَا."

بِحُضُورِّكِ تَتَأَلَّقُ الْحَيَاةُ

تَطِيرُ الْأَحْزَانُ كَقَطَرَاتِ النَّصَب

فَلَكِ فَضْلٌ لَا يُضَاهِي

فِي دَعْمِ الرُّوحِ وَرَفْعَةِ الْعَدَوَى

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَكِ خَيْرًا.

"زوالـها حَلِيفُنَا
دنـا جِدًّا نَصْرًا
لَنْ تَفْلِحُوا ثانِيَاً
بلَّ المَوْتُ عَجِيلَكُمْ
لَعْنَـهُ اللَّهُ الثامِنَـةُ
فَتْرَةٌ قَصِيرَةٌ وَتَنْتَـهُوا
عَقَدٌ لَنَـا قَرِيبًا
عَهْدًا جَدِيدًا لا مَحَالَ
زَوَالُكُمْ حَلِيفًا"

"سَلامًا وَ حَبًا لِلْجَمِيعِ"

Wr: Amany soued.

تدقيق إملائي / نوال مجدي.
تدقيق لغوي / كوكب رضا.

شكر خاص

صاحبةُ الروحِ النقيةِ أمي، ذا الوجهِ الطيبِ أبي، بركةُ البيتِ جدتي، العظيمُ رحمهُ اللهُ عليهِ جدي، مصدرُ الدعمِ أخواتي، دفءُ عائلتي، جميعُ أهلي، أصدقائي صديقٌ، صديقٌ، إلي جميعِ من أحبني بصدقٍ و واقفٌ إلي جانبي ،فأنتم خيرُ من عرفتُ جزاكمُ اللهُ كلَّ الخيرِ.

كلّ من خطّ على الرّقّ سطراً،
فإنّما يبتغي بهِ وجعاً أو حلمًا
فمن حظي بما تمنّى،
فَهانَ عليهِ كتابُهُ، وعيشُهُ أوفى وأبلغ
فإنْ كنتَ ممنْ نالَ مُنى النفسِ،
فاكتفِ بِعيشِهِ، ودعْ عنكَ هذيَ الكُتْبَ
وإنْ لمْ تَنَلْ ما تهفو إليهِ نفسُكَ،
فَاجعلْ منْ كلماتِكَ سيفًا تُبَاهِي بهِ
فَهيَ تُخلّدُ ذكْرَكَ، وتُبقِي اسمَكَ،
وتُخلّصُكَ منْ وجعٍ يُؤرّقُكَ ويثْقِلُكَ
فَهِيَ كالنّارِ، إنْ أحسنتَ استعمالَها،
أضاءَتْ دروبَكَ، وإنْ أسأتَ أحرقتْكَ
فَاستَخدِمْها بحكمةٍ، واصنعْ منْها سيفًا،
تُحاربُ بهِ وجعَكَ، وتُنيرُ بهِ دروبَكَ
فَهِيَ رفيقُكَ في دروبِ الحياةِ،
وَقَوْتُكَ في مُواجهةِ الشدائدِ
فَلا تَهْجُرْها، وَلا تَتْرُكْها، وَاجْعَلْها مِنْكَ،
فَهِيَ أَنْتَ، وَأَنْتَ هِيَ .